أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المحرم سنة ١٣٧٧

١٦٤٠

٥

١

زهراء

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

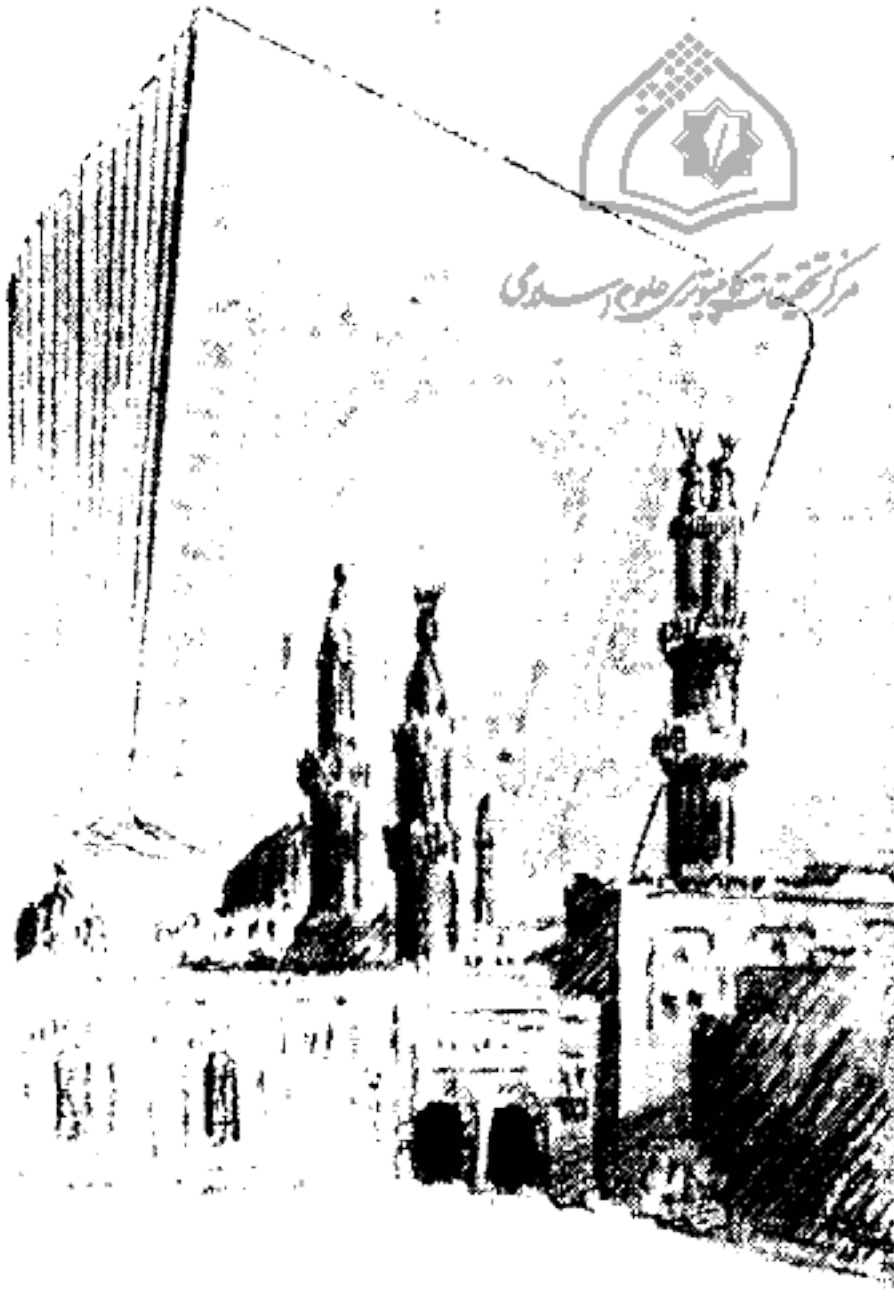

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مجلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٥٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الأول ـ القاهرة فى غرة المحرم ١٣٧٧ ـ ٢٨ يوليو ١٩٥٧ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

من عام ـ الى عام

نودع عاما كنا منه فى امتحان عظيم برهنا به على صمودنا للبغى المفاجئ ، لنستقبل عاما يجب علينا أن نحسن فيه استعمال نعم الله ، فيما يرضى الله ، لنكون من أولياء الله .

كنا قبل العام الماضى نحبو ، لننتقل ـ فى عهد التحرير ـ من سن الطفولة إلى سن الشباب . فاجتزنا عاما لم يكن كسائر الأعوام ، وإنما كان ـ بأحداثه ـ عصرا كاملا : فنحن ، بين العام الذى نودعه والعام الذى نستقبله ، كالطفل خرج من طفولته الطاهرة البريئة ، ليستقبل جهود عصر كامل ، وجهاد عصر كامل ، وتقدم عصر كامل ، وإنتاج عصر كامل ، وتجاريب عصر كامل ، وانتصارات عصر كامل .

إنها نقلة مباركة من طفولة طاهرة بريئة كانت بنت أربعة أعوام ، إلى رجولة نامية استكملت قواها بمصارعة البغى والتغلب عليه ، وشحذت عزائمها لإقامة الحق والاستكانة له ، وأوسعت خطاها لطىّ المفاوز نحو الهدف القومىّ الأقصى ، وسنبلغه بحول الله وقوته .

نحن فى نعم من الله نعدّها ولا نحصيها . إنها نعم ، كنا نتمناها فى أحلامنا ، فمنّ الله علينا بأن نراها فى يقظتنا . وأبلغ الشكر لله على نعمته حسن استعمالها فيما يرضى الله ، ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم .

« المجلة »

من الاسلام ... الى الايمان

حقائق تاريخية ، لمناسبة الصراع مع الاستعمار فى الجزائر

كان آخر عهد الناس بالاستعمار الغربى للشرق الإسلامى فى الخمسين سنة الأخيرة التى كنا شهود أحداثها ، أنه كان ـ كما لا يزال ـ حريصا على مطاردة الإسلام من بلد إلى بلد ، ومن طبقة من المسلمين إلى طبقة أخرى منهم ، وقد رسم لذلك خططا لا يراها أقل شأنا من خططه السياسية والعسكرية ، وقلما عقد معاهدة مع جهة إسلامية إلا كان للناحية التبشيرية عناية كبرى منه فى صلب تلك المعاهدة أو فى ملاحقها .

لقد رأينا الاستعمار منذ عشرات طويلة من السنين يحشد الجحافل من صنائعه الذين يسمون أنفسهم « مبشرين » على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، فكانوا فى كثرة عددهم ، وفى تنظيم نشاطهم ، وفى استعدادهم المالى والثقافى ، وفيما يستندون إليه من تأييد إدارى ، وما يعتمدون عليه من حماية سياسية ، كأنهم ـ وهم فى أوطان المسلمين أو مستعمرات الغربيين ـ حكومات أخرى من وراء الحكومات ، مستكملة للوسائل والأدوات ، مؤتلفة فى صنوف المهمات وأنواع المسئوليات ، يقدمون عن نتائج نشاطهم السنوى التقارير المسهبة بحساب دقيق هدفه الأول والأخير أن ينسلخ المسلمون عن الإسلام ولو إلى الإلحاد ، فإن تعذر عليهم استمالة الذين شبوا من المسلمين عن الطوق فلا أقل من الاستيلاء على قلوب أبنائهم ، والتحكم فى تكييف نفوس الأطفال وتوجيه عقولهم وثقافتهم ، بما رسم لها من مناهج وأساليب تتنوع وتتجدد بما تقتضيه ظروف الأزمنة والبقاع .

فالإنجليز فى السودان ـ مثلا ـ عزلوا منطقة الجنوب عن أمها السودان الشمالية ، ووضعوا مهمة التربية والتعليم للجنوبيين فى أيدى دعاة التنصير من الإنجليز والأمريكيين وغيرهم ، إنجيليين وكاثوليكيين . ومنعوا حتى التجار المسلمين من أن يقيموا شعائر الصلاة فى العراء على مشهد من الناس ، لئلا يدخل الإسلام فى قلوب الذين ما زالوا على الفطرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من سكان الجنوب فينقلبوا مسلمين . ولا يزال قراء هذه المجلة على ذكر مما نشرناه فى جزء رجب سنة ١٣٧٣ (ص ٨٣٣) من مشاهدات السيد محمد جمال الدين محفوظ فى رحلة قام بها فى الملاكال وجوبا وتوريت وكاترى إلى حدود بلاد أوغندا .

وكنا نشرنا قبل ذلك فى جزء جمادى الأولى من تلك السنة (ص٦٣٧) شكوى جريدة (التيمس) اللندنية وعويلها من أن الإسلام يتقدم بخطى سريعة فى غرب إفريقية حتى أن بعثات التنصير والأوربيين على السواء ليبدون (قلقا) شديدا مما قد يترتب على انتشار الإسلام فى المنطقة كلها . قالت (التيمس) : « وكان الاعتقاد قديما أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء ، وقد يتقدم إلى الحضر ، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى الجنوب كما حدث فى (سيراليون) و(ساحل العاج) و(ساحل الذهب) و(الداهومى) . ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام فى هذه البقاع يتبعه اتصالات بالقاهرة وبالعالم العربى » . . . وقالت (التيمس) كذلك « ويختلف الغربيون فى اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الإسلام فى إفريقية : فمن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير فى (الخطوط التى رسمها له الاستعمار) ، بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الإسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أى نشر البدع المخالفة لأصل الإسلام ، لإفساده ، وإزالة حقيقة الإسلام عنه ، مع بقاء اسم الإسلام عنوانا له) حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد) .

هذا ما قالته (التيمس) ، وهى على علم تفصيلى بمحافل دعاة التنصير المنتشرين مع الاستعمار فى القاصى والدانى من بلاد المسلمين فى إفريقية وآسيا ، وما يعبثون به من عقائدهم وما يفرضونه عليهم من تعليم استعمارى إن لم ينجح فى تحويلهم عن المسجد إلى الكنيسة ، فلا أقل من أن يبعدهم عن المسجد إلى ناحية الكفر بالله ، والجحود بيوم الدين ، والإلحاد بالأديان كلها .

وأفظع من الكيد الاستعمارى الذى يلقاه الإسلام من الإنجليز وأعوانهم الأمريكيين وغيرهم فى غرب إفريقية ووسطها وشرقها ، الكيد الاستعمارى الذى لقيه من الفرنسيين فى شمال إفريقية ، وعزلهم مناطق البربر عن مناطق العرب ، وتكالب المبشرين من الآباء البيض على أبناء المسلمين البربر لئلا يبقى لهم من الإسلام إلا عنوانه الذى يوشك أن يزول هو كذلك إن لم يتداركهم الله بلطفه ورحمته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان الكاردينال لافيجرى قد أسس لهم بمعونة المرشال ليوتى وأسلافه جيوشا من دعاة التنصير رجالا ونساء فى جميع أنحاء شمال إفريقية . فأقيم لهذا الكردينال تمثال جسيم فى العاصمة التونسية ما زال قائما فى مكانه إلى اليوم جزاء جهوده المتواصلة لهدم الكيان الإسلامى فى ظل الاستعمار الفرنسى . وهـذا الكردينال هو نفسه الذى وقف يوم أول يوليه سنة ١٨٨٨ فى كنيسة سان سوابيس بباريس ينكر على الإسلام رحمته بالرقيق ، وتشريعاته الواسعة النطاق لتضييق دائرة الرق فى المجتمع الإنسانى ، والنهوض بمستوى الأرقاء . فخطب خطبة زعم فيها أن الإسلام هو المسئول عن الرق ، واتفق أن كان من شهود هذه الخطبة أحمد شفيق باشا فى أيام شبابه ، فرد عليه بكتاب (الرق فى الإسلام) الذى ألفه بالفرنسية ، وترجمه بالعربية أحمد زكى باشا .

وقد استمر الكيد من الفرنسيين للاسلام فى كل مكان ، ولاسيما فى إفريقية ، إلى أن استصدروا فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ (أى عند مرور قرن على احتلالهم الجزائر) الظهير البربرى الذى عزلوا به مسلمى البربر عن التشريع الإسلامى فى الأحوال الشخصية ، وعن التثقيف الإسلامى والمدارس القرآنية ، ووضع لهم مسيو سوردون Sordon تشريعا تحدث هو عنه فقال : « إن الأسلحة الفرنسية هى التى فتحت البلاد البربرية ، فلأصحاب هذه الأسلحة الحق فى اختيار التشريع الذى يجب تطبيقه فى البلاد ، ويجب على حكومة المخزن (أى حكومة سلطان المغرب) أن تكون مستعدة لإعطائنا الحرية التامة فى تنظيم البلاد البربرية كما يطيب لنا ، وبالطريقة التى ترضينا . وإذا كانت العادات العرفية البربرية (أى التى كانت للبربر فى زواجهم ومواريثهم قبل إسلامهم) لا مناص لها من الاضمحلال أمام شرع مدون ، فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين ، ألا يمكن أن يتخذ البربر فى يوم من الأيام نفس الشرائع الفرنسية ؟ ولما صدر الظهير البربرى فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ علقت عليه جريدة (الطان) فى عددها الصادر يوم ٢٧ من ذلك الشهر فقالت : « الآن تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الإسلامية ، ولقد اتخذت جميع الاحتياطات لحماية المحاكم العرفية الجديدة من تأثيرات السلطة الإدارية الوطنية » .

إن الاستعمار ما كان ليجرؤ على القيام بهذه الغارة الفاجرة على العالم الإسلامى إلا لأن عصور الانحطاط الأخيرة جعلت جماهير المسلمين كبعض الأعراب فى بداية إسلامهم ، وقد تحدث القرآن عن بنى أسد بن خزيمة يوم حسبوا أن مجرد الانتماء منهم إلى الإسلام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يرفع منزلتهم إلى مقامات الإيمان ، فقال الله لهم فيما أنزله على رسوله من سورة الحجرات ١٥ : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » . روى الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء :

(١) الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

و (٢) الذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

و (٣) الذى إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل » .

نعم إن الاستعمار ما كان ليجرؤ على القيام بغارته الفاجرة على الإسلام إلا لأنه وجد المسلمين مكتفين من الإسلام باسمه وعنوانه ، متهاونين بتفاصيل شعب الإيمان وتربية أنفسهم عليها ، متخاذلين عن الاستعداد للقيام بأعباء السيادة والسعادة فى أوطانهم ، فكانوا يقولون كما قالت الأعراب من بنى أسد بن خزيمة وهم حديثو عهد بالإسلام : « آمنا » . فقال الله لهم فى سورة الحجرات ١٤ : « لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا » . فالإسلام فى الجمهرة الغالبة من المسلمين عند مادهمهم الاستعمار كان « جنسية » مقتصرة على شهادة الميلاد أو مايقوم مقامها ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم . ولو أن شعب الإيمان كلها ـ مما بثه حامل آخر رسالات الله فى قلوب أصحابه بتوجيهاته المتلاحقة مدة ثلاث وعشرين سنة ـ كانت متأصلة فى نفوس المسلمين عند مافوجئوا بالاستعمار الأجنبى ، لاصطدم منهم بقلعة حصينة يتحطم بغيه على جدرانها ، ويتخاذل كيده أمام عزائمها ، ولكافحه المسلمون متعاونين متناصرين دفاعا عن كيانهم خطوة بعد خطوة ، وسنة بعد سنة ، إلى أن ييأس منهم ، وينقلب إلى بلاده بالخزى والفشل الذريع وحسرة الأبد .

الإيمان الإسلامى قوة لا تعدلها قوة ، وقد تمكن الاستعمار من الاستيلاء على بعض بلاد المسلمين بضعفهم لا بقوة الاستعمار ، وإنما كانوا ضعفاء لأنهم كانوا مكتفين من الإسلام باسمه ، ولم يكونوا مؤمنين بمجموع ما يطالبهم بالإيمان به . . .

قبل أن يحتل الاستعمار الفرنسى بلاد الجزائر بخمسين إلى سبعين أو ثمانين سنة ، كان قد نجم فيها شاب مغرور ، ضعيف العقل ، سقيم المعرفة بالإسلام ، تصوف بغير علم ، وتلقف كلمات من بنيات الطريق ، فاخترع لمن حوله طريقة بناها على أنه يلقى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، ويتلقى عنه ما يخالف شريعته ، فزاده هذا التصور غرورا إلى غروره ، فصار يقول لأتباعه : « قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله من أول إنشاء العالم إلى النفخ فى الصور » ، ويقول لهم : « إن غير النبي قد يكون عنده علم أزيد من النبي » ، ويقول لهم : « كل الشيوخ أخذوا عنى من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور » ويقول لهم : « إن مقامنا عند الله فى الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه ، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور ليس فيهم من يصل إلى مقامنا . . . ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقا » . واخترع لهم صيغة من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سماها « صلاة الفاتح لما أغلق » وقال عنها : « إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل من كل تسبيح وقع فى الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ، ستة آلاف مرة » ، وقال لهم عنها : « من لم يعتقد أن صلاة الفاتح من كلام الله لم يصب الثواب فيها » ، وقال لهم عنها : « نهانى صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء (أى بأسماء الله الحسنى) وأمرنى بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق » .

إن ضعفاء العقول فى الدنيا والمغرورين والمعتوهين كثيرون ، ويقولون ما يسنح فى خواطرهم . وكان ينبغى لقائل هذا الكلام فى الجزائر قبل أن تصاب بمصيبة الاستعمار الفرنسى أن يوضع فى مستشفى المجاذيب ، أو فى الأقل أن ينبذ ويدعى له بالشفاء . ولكن الانحطاط يومئذ فى الوعى الإسلامى بين الجماهير قد جعل لهذا المعتوه شأنا ، فصار له فى الجزائر أتباع يعدون بالألوف ، ثم كان له مثل ذلك فى المغرب الأقصى وغيرها من أصقاع إفريقية ، ومات بمدينة فاس سنة ١١٩٦ (١٨٨٢ م) عن ٤٦ عاما فقط وهو من أهل الزعامة ، وكلامه هذا تتلقاه الألوف من العامة والمنتسبين إلى العلم بالقبول ، وله إلى هذا اليوم أتباع يعدون بالملايين ، ومنهم دجالون فى مصر والشام وحتى فى ألبانيا التى تعد من أوربا ، وقد استطاع الفرنسيون من قبل أن تدنس أقدامهم أرض الجزائر أن يصطنعوا خلفاء هذا المعتوه من مشايخ السجادة التى أسسها لطريقته فى عين ماضى . وشيوخ هذه السجادة يفتخرون اليوم بأنهم حاربوا الأمير عبدالقادر الجزائرى مع الفرنسيين وأنهم كانوا عيون الاستعمار وسماسرته وأعوانه منذ الاحتلال الأول إلى اليوم .

وفى سنة ١٨٧٠ بينما كانت أحذية جنود بسمارك ومولتكه تسحق كبرياء الفرنسيين فى باريس وتطأ رقاب عظمائهم ، كان خلفاء الزاوية التجانية فى الجزائر يعلنون عبوديتهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للفرنسيين المخذولين ، ويقوم كبيرهم سيدى أحمد التجانى الحفيد بتقديم الشكر - باسم الجزائريين - إلى بقية السيوف من جنود التيرايور الذين سلموا من معركة «ريش-هوفن» ووقعة « ويسانبور » ، فكافأه الكردينال لاڤيجرى بأن قام بطيلسانه وصلبانه فتولى عقد زواج سيدى أحمد شيخ السجادة على مدام أوريلى بيكار التى بقيت على كاثوليكيتها ، وألفت كتابا عنوانه « أميرة الرمال » تعنى نفسها ، وقد ملأته بالمثالب على مسلمى الجزائر والزاوية التجانية ، وذكرت فيه أن سيدى أحمد هذا إنما تزوجها على يد الكردينال لاڤيجرى بحسب الطقوس الدينية المسيحية . ولما توفى عنها سيدى أحمد هذا خلفه عليها وعلى السجادة التجانية أخوه سيدى على ، فصاروا يسمونها « زوجة السيدين » ، وقد قضت بين التجانيين بضعا وستين سنة لم تستعمل معهم فيها شيئا من النفاق ولا الرياء ، بل قضت تلك العشرات من السنين كاثوليكية فرنسية لم تغير من كاثوليكيتها وفرنسيتها شيئا . و « الأحباب » التجانيون يتبركون بهذه الدسيسة الشيطانية ويتمسحون بآثارها شابة وعجوزا ، ويتيممون لصلواتهم بالتراب الذى تمشى عليه . وقد قضت «أيم التجانى» الفرنسية شيخوختها فى مزرعة كبرى امتلكتها فى ضواحى مدينة « بلعباس » من أعمال وهران كانت تعيش فيها عيشة المترفين ، وهى تهزأ بهؤلاء الأنعام الذين تنعم بخيراتهم ، وتعبث بديانتهم ووطنيتهم ، ولم تقطع علاقتها بالزاوية التجانية ، بل ظلت تسيطر عليها وتقبض على أزمتها ، وقد أنعمت عليها الجمهورية الفرنسية بوسام جوقة الشرف ، وقالت عنها فى براءة التوجيه : « إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى ، وساقت إلينا جنودا مجندة من «أحباب» هذه الطريقة ومريديها يجاهدون فى سبيل فرنسا صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

وفى ربيع سنة ١٩٣١ (أواخر ذى الحجة ١٣٤٩) قامت بعثة عسكرية فرنسية برئاسة ليوتنان كولونيل سيكونى برحلة فى منطقة الأغواط بالجزائر ، فدعاها شيخ السجادة التجانية فى ذلك الحين - وهو الشيخ سيدى محمد الكبير - لزيارة عين ماضى المركز الرئيسى لطريقتهم . قالت جريدة لاپرس ليبر Lapresse libre الجزائرية فى عددها الصادر يوم السبت ١٦ مايو ١٩٣١ : « وبعد ما تفرج رجال البعثة على مدينة عين ماضى وعلى الزاوية التجانية ، ذهبوا إلى القصر العظيم الذى شيد بايعاز من السيدة الفرنسية مدام أوريلى التجانى ، وفى ردهات هذا القصر الرائعة الجميلة أقيمت مأدبة فخمة فاخرة لهؤلاء الضباط ولنواب الحكومة العسكرية المحلية بالأغواط ، وفى أثناء شرب الشاى قام حبيبنا حسنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سى أحمد بن طالب فتلا باسم المرابط سيدى محمد الكبير صاحب السجادة التجانية الكبرى خطبة عميقة مستوعبة للخدمات الجليلة الصالحة التى قامت بها الطائفة التجانية لفرنسا ، وفى سبيل توطيد الاستعمار الفرنسى ، وتسهيل مهمة الاحتلال على الفرنسيين ، وفى إشارات التعقل التى كانت تسديها هذه الطريقة الصوفية لمريديها من « الأحباب » .

ولعل أهم فقرة وردت فى الخطبة قول شيخ السجادة التجانية : « حتى الأراذل والأوباش أعداء فرنسا الذين ينكرون الجميل ، ولا يعترفون لفاضل بفضل ، قد اعترفوا لفرنسا بالمدنية والاستعمار ؛ وبأنها حملت عنا ما كان يثقل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة » .

وإلى القراء فقرات من خطبة المرابط سيدى محمد الكبير التجانى يومئذ :

« .. إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ، ماديا وأدبيا وسياسيا . ولهذا فانى أقول - لا على سبيل المن والافتخار ، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب - : إن أجدادى قد أحسنوا صنعا فى انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا ، وقبل أن تحتل جيوشها الكريمة ديارنا .

« ففى سنة ١٨٣٨ كان جدى سيدى محمد الصغير (رئيس التجانية يومئذ) قد أظهر شجاعة نادرة فى مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبد القادر الجزائرى . ومع أن هذا العدو قد حاصر بلدتنا (عين ماضى) وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر ، فان هذا الحصار انتهى بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين ، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين ، وذلك أن جدى أبى وامتنع أن يرى وجها لأكبر عدو لفرنسا ، فلم يقابل الأمير عبد القادر !

« وفى سنة ١٨٦٤ كان عمى سيدى أحمد (صاحب السجادة التجانية يومئذ) مهد السبيل لجنود الدوك دومال ، وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة ، وعاونهم على احتلالها .

« وفى سنة ١٨٧٠ حمل سيدى أحمد هذا تشكرات الجزائريين للبقية الباقية من جنود التيرايور الذين سلموا من واقعة « ريش - هوفن » وواقعة « ويسانبور » . ولكى يظهر لفرنسا ولاءه الراسخ وإخلاصه المتين برهن على ارتباطه بفرنسا ارتباطا قلبيا ، فتزوج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالآنسة أوريلي بيكار ، وبفضل هذه السيدة ـ الذى نعترف به مقرونا بالشكر ـ تطورت منطقة كوردان من أرض صحراوية إلى قصر منيف رائع ، ونظرا لمجهودات مدام أوريلي التجانى المادية والسياسية فان فرنسا الكريمة قد أنعمت عليها بوسام الاحترام من رتبة جوقة الشرف .

« وفى سنة ١٨٨١ كان أحد مقادمينا سى عبد القادر بن حميدة مات شهيدا (كذا) مع السكولونيل فلاتين ، حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحى الصحراوية .

« وفى سنة ١٨٩٤ طلب منا مسيو جول كومبون والى الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية ، فكتبنا عدة رسائل ، وأصدرنا عدة أوامر ، إلى أحباب طريقتنا فى بلاد الهكار (التوارق) والسودان (أى السودان الفرنسى) نخبرهم بأن حملة فودولامى الفرنسية هاجمة على بلادهم ، ونأمرهم بأن لا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة ، وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد ، وعلى نشر العافية فيها ! ! . .

« وفى ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ أرسل مسيو جونار والى الجزائر العام يومئذ ضابطه المترجم مسيو مرانت مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة برسالة إلى والدى المأسوف عليه سيدى البشير ، فأقام عنده فى زاوية كوردان شهرا كاملا لأداء مهمة سياسية ، ولتحرير رسائل وأوامر أمضاها سيدى البشير والدى ، ثم أرسلت هذه الرسائل إلى كبراء مراكش وأعيانها وزعماء تلك البلاد ـ وأكثرهم تجانيون من أحباب طريقتنا ـ تبشرهم بالاستعمار الفرنسى ، وتأمرهم بأن يتقبلوه بالسمع والطاعة وبالاستسلام والخضوع التام ، وأن يحملوا الأمة على ذلك ، وأن يسهلوا على جيوش فرنسا احتلال تلك البلاد .

« وفى سنة ١٩١٣ إجابة لطلب الوالى العام للجزائر أرسلنا بريدا إلى المقدم الكبير للطريقة التجانية فى السنغال سيدى الحاج مالك بن عثمان سای نأمره بأن يستعمل نفوذنا الدينى الأكبر هنالك فى السودان (أى السودان الفرنسى) لتسهيل مأمورية كلوزيل الوالى العام للجزء الشمالى من إفريقية الغربية (أى ليسهل عليه احتلال واحة شنقيط) .

« وفى الحرب العالمية الأولى أرسلنا ووزعنا فى جميع أقطار شمال إفريقية منشورات برقية وبريدية استنكارا لتدخل الأتراك فى الحرب ضد فرنسا الكريمة وضد حلفائها الكرام ، وأمرنا أحباب طريقتنا بأن يبقوا على عهد فرنسا وعلى ذمتها وموادتها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« وفى سنة ١٩١٦ – إجابة لطلب الماريشال ليوتى عميد فرنسا فى مراكش – كان سيدى على صاحب السجادة قبلى ، كتب ١١٣ رسالة توصية وأرسلها إلى الزعماء الكبار وأعيان المغاربة يأمرهم بإعانة فرنسا فى تحصيل مرغوبها وتوسيع نفوذها ، وذلك بواسطة نفوذهم الدينى .

« وفى سنة ١٩٢٥ (فى أثناء حرب الريف) أرسلت أنا حبيبنا المخلص ومريد طريقتنا ومستشارنا المعتبر حسنى سى أحمد (الذى تلا هذه الخطبة على مسامع الضباط الفرنسيين بلسان سيده وعلى مسمع منه) إلى المغرب الأقصى فقام بدعاية كبرى و(پروپا) عندة واسعة فى حدود منطقة الثوار ، وتمكن من أخذ عناوين الرؤساء والكبراء والأعيان الريفيين والمقاديم وأرباب النفوذ على القبائل الثائرة ، وكتبنا إليهم رسائل نأمرهم فيها بالخضوع والاستسلام لفرنسا ، وقد أرسلنا هذه الرسائل إلى مقدمنا الأكبر فى فاس فبلغها إلى المبعوثة إليهم يدا بيد . . .

« وبالجملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التجانية نفوذها الدينى إلا وأسرعنا بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها ، وذلك كله لأجل عظمة ورفاهية وفخر حبيبتنا فرنسا النبيلة » .

ثم ختم شيخ السجادة التجانية خطبته بالثناء العاطر على الموظفين الفرنسيين ، وعلى الضباط العسكريين واحدا واحدا ، ومدح الوالى يومئذ ووصفه بأنه « المستعمر الأكبر » .

ولما انتهت اعترافات الشيخ التجانى وتبجحه بخياناته وخيانات أسلافه نهض ليوتنان كولونيل سيكونى رئيس البعثة العسكرية وشكر الشيخ وأثنى عليه ثم قال : « من كمال مروءتك وإحسانك يا سيدى الشيخ المرابط أنك لم تذكر ولا نعمة واحدة من النعم التى غمرتنى بها ، فأنت الذى أنجيتنى من التوارق الملثمين وأنقذتنى من أيديهم » .

إن القليل من هذه المخازى الكثيرة كان يكفى لانفضاض مريدى هذه الطريقة الصوفية عن طواغيتها الكبار الذين رضوا لأنفسهم بالعبودية لفرنسا من دون الله ، لو كان هناك وعى إسلامى سليم مؤسس على الإيمان الإسلامى القويم فى مدارس المسلمين ومعاهدهم ومرافقهم وصحفهم وأنديتهم ومنابر مساجدهم وفى سائر مظاهر حياتهم . ومن العجيب أن نرى المستعمرين أيقاظا للتمييز بين أعدائهم وأصدقائهم ، وأن يعرفوا كيف يسلطون المسلمين بعضهم على بعض ، بينما المسلمون لا يميزون بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن الإنصاف لاسم « التجانية » أن نذكر بالرحمة والثناء والتمجيد رجلا عظيما انتسب إليها ، ولكن الله طهره من رجسها ، وهذا الرجل هو الحاج عمر السنغالى ، ابن شيخ مرابط من صلحاء السنغال ولد له فى قرية الفار من مقاطعة ديمار سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧م) وتربى فى حجر والده على الصلاح والاستقامة والوفاء للاسلام ، ثم قام فى شبابه بأداء فريضة الحج ، وعرج على مصر فى طريق عودته فالتحق بالجامع الأزهر ، وكان ذلك فى مدة مشيخة الشيخ محمد العروسى التى امتدت من سنة ١٢٣٣ إلى وفاته سنة ١٢٤٥ ، فخلفه الشيخ أحمد الدمهوجى سنة ١٢٤٦ فالشيخ حسن العطار الذى بقى شيخا للأزهر إلى سنة ١٢٥٠ ، فى تلك الفترة من حياة الأزهر كان الحاج عمر السنغالى يتضلع فيه من علوم الشريعة الإسلامية وآدابها وسنن الإسلام ، حتى إذا اكتفى من ذلك عاد إلى بلاده ، وظهر فى بورنو سنة ١٢٤٩ أى بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر بثلاث سنوات ، وقد رسم لعمله فى الحياة خطة حكيمة أن يدعو الوثنيين من بنى جلدته إلى الإسلام ليذوقوا ماذاق هو وقومه من حلاوة هذا الدين ، وليروا ما رأى هو ومواطنوه من جمال الإسلام . وآلى على نفسه أن لا يتعرض للاستعماريين الأشرار إلا إذا اعترضوا دعوته ، فيدفعهم بما يندفع به شرهم عن هذه الدعوة . وكان يرى فيما تعلمه فى الأزهر أن أجمل ألوان الإسلام وأحلاها ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، فكانت دعوته سلفية سليمة من الشوائب . وكان أول ميادين دعوته بلاد الهاوسة ، ثم التحق به أخوه أحمدو فانتقلا إلى بلاد فوتا والبامبارة . وفى بلد كنكان من السودان الفرنسى انضم إليه رجل من أهلها اسمه محمدو فتلقى عن الحاج عمر طرق الدعوة ، وأدخل فى الإسلام فرقة الواسولونكه . وباتساع نطاق الدعوة ظهر لها مقاومون من الوثنيين ، فحشد لهم الحاج عمر جيشا صغيرا من المؤمنين بدعوته تولى به حمايتها . وبغى عليه الفرنسيون فى بلاد غابون من الكونغو الفرنسى فأثار مسلميها عليهم ووطد فى تلك المنطقة دعائم دعوته . وفى سنة ١٢٦٣ عاد إلى نواحى فوتاجون ، وبنى قلعة حصينة فى شمال النيجر من السودان الفرنسى وهزم مقاوميه من وثنيى باربارد فى تومبا هزيمة ساحقة . وفى سنة ١٢٧٠ انتقل إلى نيورو فى شمال السنغال الأعلى واتخذها مقرا له ، ثم استولى على مملكة سيغو ، وعلى بلاد ماسينه . وما زالت دعوته فى انتشار ومملكته فى اتساع إلى أن توفى سنة ١٢٨٢ عن ٧٠ سنة من عمره المبارك وهو فى جهاده مع وثنيى ماسينه ، فخلفه على قيادة هذه الحركة النبيلة اثنان من أتباعه أحدهما ابن أخيه ، فواصلا الدعوة سنين أخرى ، ولو استمر لها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التوفيق لتحولت الوثنية الإفريقية كلها إلى الإسلام ، لكن احتلال الفرنسيين تمبوكتو في ١٠ يناير سنة ١٨٩٤ (٣ رجب سنة ١٣١١) حول مجرى التاريخ الإسلامي في إفريقية ، كما تحول قبل ذلك في أوربا يوم ٨ شعبان سنة ١١٤ بتغلب شارل مارتل على جيوش عبد الرحمن الغافقي في فرنسا (انظر مجلة الأزهر ٢٥ : ٤٥٤ و ٢٦ : ١٠٠ و ٢٢٠) .

أنا أعتقد أن المسلمين إلى خير إذا تولى قيادتهم وتوجيههم مؤمنون صادقون من أهل الخير ، وكما أن الرجل الواحد الصالح ـ كالحاج عمر السنغالي الأزهري ـ يستطيع أن يحيي بالإسلام بلادا غارقة في ظلمات الوثنية فينتشلها من أعماق الجحيم إلى جنات النعيم ، فإن التهاون في أمر دجال واحد أو معتوه تافه مثل أحمد محمد التجاني قد يؤدي إلى كارثة كبرى كالكارثة التي وقعت بها الجزائر أيام جهادها بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري ، فكان مضطرا ـ وهو يحارب جيوش الاستعمار الأجنبي بضعة عشر عاما ـ أن يحمي ظهره من خناجر الذين يخونون الله والإسلام من أصحاب السجادة الشيطانية في عين ماضي ، ومن العجيب أنهم ما زالوا مصرين على خياناتهم من أيام الاحتلال الأولى في الجزائر إلى زمن الاحتلال الآخر في المغرب الأقصى ، ثم إلى جهاد الريف بقيادة الأمير عبد الكريم ، وفي كل ملحمة وقعت بين الإسلام وأعدائه . وهؤلاء الخونة يستمدون حياتهم ووجودهم من انخداع الملايين من أتباعهم ، فهم يعتبرون ما عليه شيوخهم الخونة هو الإسلام ، بل هو منزلة أعلى من منزلة الإسلام ، ولو أن الوعي الإسلامي في الرأي العام الإسلامي كان سليما كما كان يريده النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين لافتضح الباطل تحت أضواء الحق ، ولخرس صوت الباطل إذا جلجل الحق بصوته الرهيب ، ولكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان وحزبه هي السفلى .

إن اسم « الإسلام » الذي ينتمي إليه الآن ويعتز به خمسمائة مليون مسلم في آسيا وإفريقية وغيرهما ، كان يمكن أن تتغير به معالم الإنسانية كلها من الشقاء إلى السعادة لو أن الذين يحملون أمانة هؤلاء المسلمين من علماء وأساتذة مدارس وجامعات ومؤلفين وصحفيين عرفوا قدر الأمانة التي يحملونها ، وكل واحد منهم اعتبر نفسه مسئولا شخصيا تجاه كل شخص يتصل به في معاهد التعليم أو بين جدران المساجد أو في صفحات الكتب والصحف ، فيحوله من مسلم تافه إلى مؤمن محمدي قوي له رسالة سامية في الحياة ، كما تحول أمثال الأعراب من بني أسد بن خزيمة عن أعرابيتهم الشلاء إلى أمثال أهل بدر والمجاهدين مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المواقف التي انتشر بها الإسلام ، ثم تكون بها هذا العالم الإسلامي .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نريد من أهل القيادة الفكرية فى الإسلام أن ينهضوا بالمسلمين من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان ، ومن الإسلام بشهادة الميلاد إلى الإيمان الذى يدفع بصاحبه إلى كتائب الجهاد الأدبى والعسكرى لإعلاء كلمة الحق والخير .

الإيمان الإسلامى بضع وسبعون شعبة ، وكل فضيلة طلب الإسلام من المسلم أن يتحلى بها ، وأن يدعو الناس إليها ، هى شعبة من شعب الإيمان : فالصدق شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، والذى يعيش كاذبا يعيش ما عاش كذلك كافرا بهذه الشعبة من شعب الإيمان . وإقامة الحق شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، والذى يعيش مماريا فى الحق ، ومغالطا للناس فيه ، ومجاملا لأهل الباطل فى باطلهم ، يعيش ما عاش كذلك كافرا بهذه الشعبة من شعب الإيمان . والحياء شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، وكان ينبغى أن لا يكون فى المسلمين إنسان واحد محروما من هذه الحلية الإنسانية الجميلة . وإن التعاون على الحق والخير شعبة من أعظم شعب الإيمان الإسلامى ، ولو أن المسلمين شاع بينهم خلق التعاون على كل حق وكل خير لتغير بهم مجرى التاريخ .

مهمة قادة الفكر فى الإسلام هى التبشير بهذه الشعب من شعب الإيمان الإسلامى ، وأن يحرصوا على بثها فى نفوس المسلمين بالحكمة والأساليب الجميلة ، وأن يبدأوا بأنفسهم فيتحلوا بها ، ليرى الناس فيهم جمالها فيكونوا قدوة فيها لأبنائهم فى بيوتهم ، ولإخوانهم فى مجتمعاتهم ، ولمن يحسن الظن بهم من صغير وكبير .

لا تعرف الإنسانية معنى من معانى الحق ، ولا لونا من ألوان الخير ، إلا وهو جزء من إيماننا نحن المسلمين ، لأن ديننا أمرنا بهذه الأمور الجميلة جملة أو تفصيلا ، وكل شىء أمرنا به ديننا أصبح شعبة من شعب إيماننا ، والعمل به ركن من أركان هذا الإيمان ، فلو رأينا أنفسنا وأبناءنا وعامتنا على ذلك لكنا نحن الناس ، ولما كان فى أمم الأرض أمة مرموقة مغبوطة ترفل فى حلل القوة العسكرية والعمرانية والخلقية والصناعية كهذه الأمة الإسلامية .

إهمال المسلمين حتى يبقوا محرومين هذه القوة جريمة سنسأل عنها غدا بين يدى الله ، وقبل أن نسأل عنها بين يدى الله سنتحمل جرائرها فى مجتمعنا ومستوانا من الكرامة بين الأمم . والنهوض بالمسلمين إلى منازل الإيمان الإسلامى فى أيدى قادة الفكر لو عقدوا عزائمهم عليه ، وكل واحد منهم على ثغرة من ثغر الإسلام ، فليحرص على تحصين الثغرة التى هو فيها لئلا يؤتى الإسلام من ناحيته . وبهذا نرتقى من مقام « الإسلام » إلى مقام « الإيمان » . . .

محب الدين الخطيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٥١ —

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

بين الإيجـــاب والاعفاء

ا — « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
ب — لا يضركم من ضـــل إذا اهتديتم
ج — إلى الله مرجعكم جميعا، فينبئكم بما كنتم تعملون »

المعروف كل ما فيه نفع ولا يخالف الدين ، والمنكر كل ما يخالف الدين ولو كانت منفعة

ويعتبر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصلا أول من أصول التربية فى القرآن ، وهو مظهر التكافل الذى ينشده الإسلام فى أهله ، ويفرضه رسالة متبادلة بين المسلم والمسلم ، والجماعة والجماعة ، فهو منوط بالذمم كأمانة يؤديها كل إنسان إلى أخيه حينما يجد أخاه بحاجة إلى التوجيه ، ويتقبلها من أخيه حينما يكون هو بحاجة إلى التوجيه . وقد جعل الله تلك الرسالة المتبادلة شعارا للقومية الإسلامية ، فامتدح فى المسلمين أنهم خير أمة أخرجت للناس ، إذ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولم يرض لهم أن يبخلوا بالنصيحة ، كما لم يرض لهم أن يشهدوا المنكر أو يتسامعوا به ثم لا يتناهوا عنه ، كما كان ذلك نقيصة معهودة فى بنى إسرائيل ، حتى أفرخت بينهم الرذائل ، وتغلغلت فى طبائعهم المنكرات .

والآية التى معنا تتعلق بمرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية فى منهج الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وهى المرحلة التى يكون فيها الأمر والنهى غير مسموعين ، ولا نافذين إلى القلوب ، ويكون موقف الداعى إلى الخير موقف اليأس من النجح ، أو المتعرض

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للآذى فى تأدية رسالته الدينية إلى قوم أو أفراد غير مستعدين للقبول ممن رانت عليهم الضلالة ، وغلبت عليهم شقوتهم ، حينذاك يكون المتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد بلغ رسالته . وأدى أمانته ، وما عليه إلا أن يأخذ بالحيطة لنفسه من نزغات الشيطان ، والركون إلى إخوان السوء ، وأن يدع المتخلفين عن إرشاده إلى ما هم عليه ، ليسلم من أذاهم ، ولا يلق بنفسه إلى التهلكة دون أن يكون فى ذلك صلاح لشأنهم ، ولا نفع يرتجى منهم .

وهذا تخفيف من الله عن كاهل الدعاة إلى جانب الله ، حيث أعفاهم من أمر أصبح شاقا عليهم ، واكتفى منهم بالحيطة لأنفسهم .

وذلك قوله سبحانه : « عليكم أنفسكم » .

وحينئذ تكون التبعة قاصرة على المذنبين ، ولا حرج على غيرهم ممن نصحوهم وعلموهم فلم يستجيبوا لهم ، وهذا مصداق قول الله تعالى : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . يعنى بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . كقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، أى لا تحمل نفس وزر نفس أخرى بل - كل امرئ بما كسب رهين - .

أما عند التقصير فى إنكار المنكر ، وتوجيه الأمر بالمعروف : فاللائمة متجهة إلى التاركين لواجبهم كما تتجه إلى المذنبين على ارتكابهم ، والجميع مهددون من جانب الله تعالى .

وهذا قوله سبحانه : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

وقد وضح من المقابلة بين هذه الآيات أن الإعفاء من الرسالة المتبادلة وهى أمانة الإرشاد والنصح لا يكون إلا لمن حاول القيام بها ، وأبرأ ذمته منها ثم لم يجد سبيلا إلى غايته ، وتعرض لما يكره .

ولا يعفى من هذا من يتعلل بمعاذير شخصية غير جدية ، كمن يتوانى فى ذلك معتمدا على أن فى القوم من يغنى عنه ، أو يخشى أن يغضب أناسا يحرص على مرضاتهم ، أو يحسب فى قيامه بالواجب حيلولة بينه وبين أمل يبتغيه ، أو إبطاء له عن مطامع يرتجيها . فكل هذا فرار من واجب شرع لحماية المجتمع من أضرار العابثين بدينهم ، وبالنظام العام .

وكل هذا تمكين للفساد فى محيط يبتغى الإسلام صيانته من كل فساد بل من شوائب الفساد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى الجزء الأخير من الآية تسلية للدعاة ، وتلطف بهم حتى لا تهدأ غيرتهم على الدين ، ولا تفتر عزيمتهم عن مواصلة الإرشاد والتماس الخير للناس فى كل بيئة لا يسيطر عليها الإجرام ، وفى كل مناسبة توحى بالاستجابة .

وذلك قوله تعالى : « إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون » .

فهذا تأييد لهم بما يقومون به ، ووعد كريم بجزائهم على ما بذلوا ويبذلون من جهود ، وفيه وعيد للمتخلفين عن القبول بأن الله سيذكرهم بما ضلوا ، ويحاسبهم على كل ما كان .

ومن ثنايا الكلمات القرآنية فى هذه الآية تستشعر القلوب والأنفس أن الاتجاه فى الحياة ليس أمرا يترك فيه الحبل على الغارب ، ويأخذ فيه كل امرئ بما يطيب له ، ويلائم مزاجه ، بل هى حياة جدية أرادها الله لعباده ، وبينها لهم فى شرائعه ، وعهد بها إلى رسله ، والعلماء من بعدهم ، وأعد لهم حسابا عليها سيكاشفهم به يوم يلقونه وفيهم أناس صدقوا ما عاهدوا الله عليه وفيهم آخرون أخلفوا الله ما وعدوه وكانوا يكذبون .

هذا : وقد وجد فى الناس قديما من يزعم أن الآية أسقطت عنهم واجب الأمر بالمعروف ، وجعلتهم فى حل من ترك منا صحة الناس ، وقصرتهم على رعاية أنفسهم فحسب .

وقد أوضح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقصد الآية لمن سأل عنها واشتبه عليه أمرها فقال ـ عليه السلام ـ بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام » .

فتبين لمن سأل أن الإعفاء من واجب الهدى للناس إنما يكون بعد محاولته الوفاء به ، وبعد قيام المانع فى سبيله ، وظل الأمر فى التكليف بهذا باقيا على ما نطق به الكتاب العزيز فى كثير من آياته كقوله سبحانه « وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » وقوله « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » الآية ، وفى قول الرسول عليه السلام « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وهكذا من الأحاديث وأقوال الصحابة التى حفلت بها الكتب فى هذا الشأن الخطير على أن سيرة الرسول عليه السلام فى دعوته تذكى عزائم المسلمين فى مواصلة الإرشاد ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتناصح ، فقد اشتد القوم فى معارضته مرة ، وإغرائه مرة بالآمال ، حتى أقسم لهم ألا يعدل عن تبليغه رسالته ولو وضعوا الشمس والقمر فى يديه ، أو قتلوه دون غرضه فى تعميم الدعوة .

وإذا كان شأن الرسالة يقضى بذلك على نبى اختير للرسالة فقد كان الصحابة كذلك من بعده حرصا على تراثهم الإسلامى أو علما بأن دينهم يطالبهم بتوثيق الإخاء ، وتركيز المحبة ، حتى تركزت فيهم عاطفة الخير ، وآمنوا إيمانا لا وهن فيه بأن المسلم يحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه . . فلا يتفق إسلام صحيح مع الأنانية أو لا يستقيم المجتمع إذا نزل كل امرئ وما يختار لنفسه من مآثم ، وتعرض بسبب انحرافه للزلات .

ومثل الأمة مثل الأسرة الواحدة : تسعد كثيرا إذا استقام أفرادها على الجادة ، وبنوا مجدهم بأعمال محمودة ، وتنهار إذا لم يكونوا مطبوعين بطابع إنسانى سليم من الآفات الهادمة لكيانها .

ولا أحسب فاهما يزعم أن رسالة المسلم إلى غيره قاصرة على جانب العمل الدينى البحت ، بل هى شاملة لكل ما يتصل بالدنيا فى أعمالها الحيوية ، فان شأن الدنيا جانب هام من الدين ، وصلاحها منوط بفهم تعاليمه ، ومتابعة إرشاده . . . ودنيا الإنسان يجب أن تكون غير دنيا الحيوان ، ومن أجل هذا كانت من حساب الدين فى مقام خطير .

ومن أجل هذا أيضا عرف المسلمون الأولون خطرها، وأعطوها حقها ، وبذلوا فى الهدى إلى خيرها ما بذلوا من جهود مشكورة ، حتى كانت لهم السيادة ، ونهض بهم التاريخ .

ولكن من مآسى الحياة فى عصرنا هذا أن نجد أرباب المجون ودعاة الفسوق أشجع من دعاة الهدى ، وأن نجد الرذائل مؤيدة من أنصار لها ، والخيرين من الناس لا يسلمون من ألسنة السفهاء وإن كانوا من الطغام والسفلة ، وهى سنة الله قديما بين العلماء والجهلاء وبين دعاة الرشد وأهل الغواية . « وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم » :

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السنة

مكان النصح فى الاسلام

— ١ —

من حق هذه المجلة على قرائها ـ مكان جرير فى الصحابة ـ جانب من فقه البخارى ـ رفع الحرج فى الدين ـ الرجال والنساء سواء فى حق النصح ـ حق الكافر على المسلم فى النصح والدعوة .

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم علي إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، فلقنني ـ فيما استطعت [١] ـ والنصح لكل مسلم . (رواهما الشيخان)

باسم الله تعالى وعلى بركته ، نفتتح السنة فى عامها الجديد بأحاديث النصح وبيان منزلته فى الدين ، راجين من الله جلت آلاؤه ، أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض بالتناصح والتآزر ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، كما من عليهم من قبل بجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وإذا كنا فى مقام النصح والتناصح والتعاون على البر والخير ، فإن من حق هذه المجلة ـ وكل مجلة إسلامية ـ على قرائها ، أن ينصحوا بكل ما يرونه أعون لها على تأدية مهمتها ، وبلوغ غايتها ، فى كل باب من أبوابها الحالية أو المرجوة .

* * *

(١) قال النووى : والرواية بفتح التاء ، وقال صاحب الفتح : رويناه بفتح التاء وضمها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أقول هذا تمهيدا لما اعتزمت عليه بعون الله وتوفيقه من عرض منهاج « السنة » فى هذه المجلة منذ صدورها إلى وقتنا هذا ، رغبة الاسترشاد بآراء الناصحين . وآمل أن يكون هذا العرض فى الجزء الآتى إن شاء الله « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

* * *

روى الشيخان هذا الحديث بروايات عدة لمناسبات مختلفة ، عن جرير رضى الله عنه .

وجرير أحد الصحابة الأجلاء ذوى التاريخ الحافل بالمناقب العلية والهمم الأبية ، وإن تأخر إسلامه ـ كما قيل ـ إلى السنة العاشرة . كان سيد قومه بجيلة ، ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الإسلام فأسلم ، وما حجبه النبى صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ، وما رآه إلا تبسم ، وشكا إليه أنه لا يثبت على الخيل فضرب بيده الكريمة على صدره ، وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا ، وحج مع النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فاختاره أن يستنصت له الناس كى يخطبهم خطبته الجامعة .

وبعثه صلى الله عليه وسلم إلى ذى الخلصة ، بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم ، فهدمه . وخرج مع أنس فى سفر فكان يخدم أنسا مع أنه أكبر منه سنا ، ويقول : لما رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء آليت ألا أصحب أحدا منهم إلا خدمته . . وكان رضى الله عنه رجلا طوالا وسيما حتى قال فيه عمر رضى الله عنه : جرير يوسف هذه الأمة . ووجد عمر يوما رائحة فى مجلسه فقال عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ ، فقال جرير علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم ، قال عليكم كلكم عزمت ، ثم قال يا جرير ما زلت سيدا فى الجاهلية والإسلام .

ومن دلائل سيادته وعظيم نصحه وورعه ، أنه كان إذا اشترى شيئا أو باع يقول لصاحبه اعلم أن ما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك ، فاختر . وروى الطبرانى أن غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة دينار فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال إن فرسك خير من ثلاثمائة . فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة ! !

* * *

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

روى مسلم هـذا الحديث بروايتيه هاتين و بينهما رواية ثالثة مختصرة ، فى « كتاب الإيمـان » عقب الحديث المشهور الذى رواه تميم الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . وليس لتميم الدارى حديث ما فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس له فى صحيح مسلم غير هذا الحديث « الدين النصيحة » ونرجو أن نشرحه فى الجزء الآتى بمشيئة الله تعالى وتوفيقه .

* * *

وأما البخارى فرواه كذلك فى « كتاب الإيمـان » بالرواية الأولى ، فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة . . . » وأتبعها فى الباب نفسه برواية ثانية تبين سببه فقال : عن زياد بن علاقة قال : سمعت جرير بن عبد الله يقـول : يوم مات المغيرة ابن شعبة قام فحمد الله وأثنى عليه وقال : عليـكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير ، فإنمـا يأتيكم الآن ، ثم قال : استعفوا لأميركم فانه كان يحب العفو ، ثم قال : أما بعد فانى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم قلت : أبايعك على الإسلام ، فشرط علىّ والنصح لـكل مسلم ، فبايعته على هذا ، ورب هذا البيت إنى لناصح لـكم ، ثم استغفر ونزل .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وكان المغيرة بن شعبة واليا على الـكوفة فى خلافـــة معاوية ، ولمـا حضرته الوفاة استناب عنه ابنه عروة ، وقيل : استناب جريرا ولذا خطب ، وكانت وفاة شـعبة سنة خمسين ، وتوفى جرير سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة أربع وخمسين .

والمسجد الذى يشير إليه جرير فى قسمه بربه إنه لناصح لهم هو مسجد الـكوفة إذ كانت خطبته به ، وقيل هو المسجد الحرام ، ويؤيده ما جاء فى رواية الطبرانى « ورب الـكعبة » وأيا ما كان الأمر فقد وفى رضى الله عنه بمـا بايع عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى كل شأن من شئونه عامة وخاصة ، لم يدخر فى ذلك وسعا ولم يأل جهدا .

* * *

ثم رواه البخارى فى باب البيعة على إقامة الصلاة من كتاب « مواقيت الصلاة » وفى باب البيعة على إيتاء الزكاة من « كتاب الزكاة » ورواه فى باب هل يبيع حاضر لباد؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من «كتاب البيوع» ولفظه فيـه «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم» كما رواه في أوائل «كتاب الشروط» ثم رواه أخيرا بالرواية الثانية التي اخترناها مع الرواية الأولى، في باب كيف يبايع الإمام الناس من «كتاب الأحكام».

وإنما ذكرنا مواضعه من صحيح الإمام البخاري تبيينا لجانب من فقه البخاري رحمه الله ودقيق صنعه في تكرير الحديث الواحد في غير موضع من كتابه، وتحقيقا لرغبة المستزيدين من فقه الحديث وشرحه.

* * *

ولم يذكر الصوم والحج في المبايعة وهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة، اكتفاء بأهم الأركان ومعظمها، على أنهما داخلان في عموم المبايعة على السمع والطاعة.

وتقييد السمع والطاعة بالاستطاعة، موافق لقوله تعالى: «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها».

وتلقينه صلى الله عليه وسلم من كمال رأفته ورحمته بأمته، لئلا يتكلفوا من الأمر ما لا يطيقون فيقعوا في العسر والحرج «وما جعل عليكم في الدين من حرج» وفي ذلك إشارة إلى رفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما أكره عليه المرء.

والمسلمة كالمسلم في وجوب السمع والطاعة والنصح، لأن النساء شقائق الرجال وأخواتهم في التكليف العام... بل إن للكافر على المسلم حق النصح والإرشاد والدعوة إلى الحق، ولا سيما إذا رغب في الهداية بلسان الحال أو المقال، وإنما خص المسلم لأن حقه أوجب، واستجابته أقرب، وأخوته أعظم شأنا وألصق جوارا.

* * *

أما بعد، فهذه مبايعة نبوية على الدين كله عامة، وعلى النصيحة منه خاصة، لأنها عماده وملاكه... وتفصيل هذا في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

محمد الساكت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خوارق العادات

التى اقترنت بالهجرة الشريفة النبوية

إذا أهل هلال المحرم من كل عام ذكرنا أعظم انقلاب فى تاريخ البشرية ، وأكبر حدث غير وجه الزمان ، وأخضعه للنظام بعد الفوضى والعدل بعد الظلم ، وقضى على نظام الطبقات ، وأعلن فى قوة وصرامة أن « الناس سواسية كأسنان المشط » ذلك الحدث هو هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فرارا بدينه ، وعملا على إظهاره ونشره بين قوم علم أن قلوبهم مفتحة له ونفوسهم متلهفة عليه ، فخرج من بيته مهاجرا إلى الله يدعو الناس إلى دينه ويعلمهم أحكامه وينشر بينهم الأمن والأمان والهدى والسلام ، ويخرجهم من ظلمتى الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ، فكان كما قال الله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » غير أن هذه الهجرة الشريفة لم تكن هجرة عادية ، مجرد انتقال من بلد إلى بلد آخر فى هدوء وطمأنينة ـ لا ـ ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن رجلا عاديا بل كان رسولا من عند الله يدعو إلى دين جديد قوامه توحيد الله سبحانه ونبذ الأديان جميعا ما عداه ، وإخلاص العبادات له سبحانه ، فكان من أجل ذلك له أعداء يتربصون الدوائر ويعملون جاهدين على إطفاء النور الذى جاء به ، فجمعوا له الجموع وأرادوا الفتك به ـ لعنهم الله ـ ولكن الله جلت قدرته لم يكن ليدع رسوله وحبيبه إلى أعدائه وأعداء رسوله ينالون منه ما يريدون ، فأمره بالهجرة الشريفة وكان إليها مستشرفا ولها منتظرا ، وحفظه أتم حفظ وأكرمه ، وقرن هجرته الشريفة بعجائب عاجبة وخوارق خارقة وآيات بينات تدل على أنه رسول من عند الله حقا صلى الله عليه وسلم :

١ ـ إن الله سبحانه أخذ على أبصار أولئك الشبان الذين جمعهم الأعداء للايقاع به ، وقتله فوقفوا أمام بابه مترصدين خروجه عليه الصلاة والسلام ، ولكن الله إكراما لنبيه أعمى أبصارهم ، فخرج صلى الله عليه وسلم فلم يروه ، وألقى التراب على رءوسهم إذلالا لهم وتحقيرا لشأنهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ — مر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه أول خروجهما من دار أبى بكر على اللعين أبى جهل وهو واقف فى الطريق فلم يبصرهما وعيناه مفتوحتان و بصره حديد ولكن الله سبحانه أعمى عينى أعدى أعدائه عن أحب أحبابه صلى الله عليه وسلم .

٣ — قال القاضى عياض فى الشفاء : روى أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش ناداه ثبير (جبل بمكة) لما صعد عليه : اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل على ظهرى فأعذب ، فناداه حراء (جبل آخر بمكة مقابل ثبير) : إلى يا رسول الله اهـ . ولعل الله سبحانه وتعالى أنطق الجبلين بما ذكر ، أو أحدث فيهما أمرا فهم منه النبى صلى الله عليه وسلم ما قالا ، وعلى كل فوجه الإعجاز فيهما ظاهر ، وكل هذا قبل توجهه صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور : فانه هو الذى اختفى فيه عند الهجرة الشريفة .

٤ — لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر الغار أنبت الله فى الحال على بابه شجرة تسمى السراءة (بفتح الراء المشددة والمد والهمز) وهى المشهورة بأم غيلان ، وهى شجرة تكون مثل قامة الإنسان ، ولها فروع كثيرة مدلاة ولها زهر أبيض ، وهذه معجزة من حيث نباتها فى الصخر الأصم ، ومن حيث إنها فى قليل جدا من الزمن طالت وكثرت فروعها وتدلت وأزهرت زهارتها وابيضت .

٥ — أرسل الله العنكبوت فنسجت نسيجها على باب الغار حتى عمته ، وفى حياة الحيوان : والعنكبوت دويبة تنسج فى الهواء ، فهى صغيرة ضعيفة . وباب الغار إن كان مستديرا فالظن أنه لا يقل قطره عن خمسين سنتيمترا ، وإن كان مربعا لا يقل ضلعه عن هذا العدد حتى يمكن للرجل أن يدخل منه . ومن هنا يتبين الإعجاز ، فان العنكبوت لا يمكن أن تسد مثل هذه الفتحة بنسجها فى أقل من شهر ، ولكنها صنعت ما صنعت فى وقت وجيز ، فكان ذلك خرقا للعادة واضحا .

٦ — بعث الله حمامتين وحشيتين فباضتا — أو باضت أنثاهما إن كانا ذكرا وأنثى فى أسفل الباب ونسج العنكبوت — بيضات متعددات فى لحظات ثم حضنت البيض شأن الحمام المستقر فى المكان من مدة طويلة ، ونبات الشجرة و بيض الحمام ونسج العنكبوت أبلغ فى رد الأعداء من الجنود المجندة ! فان رد الجنود بالجنود أمر اعتدنا أن نراه أو نسمع به ولكن رد الجيش بما ذكر أمر بالغ فى خرق العادة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٧ — بعد أن مكثا فى الغار ثلاث ليال خرجا ومعهما دليلهما الذى استأجراه ليدلهما على الطريق إذ كان بها خبيرا ، وهو عبد الله بن أريقط (بصيغة التصغير) . ومن عجب أنه كان من عبدة الأوثان ، ولكن الله سخره لحبيبه وصاحبه ، وكان معهما بعد الرجل عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما أثناء الطريق ، فمروا فى طريقهم فى المكان المسمى قديدا (بصيغة التصغير) على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهى محتبية بفناء خيمتها فسألوها طعاما أو شرابا ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزناكم القرى لأنه كان من عادتها أن تسق وتطعم من يمر بها : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا شاة ضعيفة هزيلة ذابلة فى كسر الخيمة ، فاستأذنها فى حلبها فأذنت ، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت أو جيء له بها فمسح بيده الشريفة ضرعها وظهرها وسمى الله ، وإذا بالشاة التى لا تبض بقطرة ولا ينتظر من مثلها لبن أبدا تدر درا قويا ، ويحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حلبا كثيرا جدا فيسق أم معبد والذين معه علالا بعد نهل حتى شبعوا وترك الإناء لأم معبد مليئا باللبن . ومن بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الشاة التى لمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيت إلى خلافة عمر رضى الله عنه وكانت تحلب صبوحا وغبوقا وما فى الأرض لبن قليل ولا كثير .

وإنى ذاكر هنا مقالة أم معبد فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها لما عجب من وجود اللبن عندها ، ولا حلوب بالبيت ، لأنها من أعذب وأمتع المقالات فى وصفه صلى الله عليه وسلم فقالت : مر بنا رجل مبارك ، وحدثته حديثه فقال : صفيه يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة (أى الحسن والجمال) مبلج الوجه (أى مشرقه) حسن الخلق (بضم الخاء ، عرفته من حاله مع رفقته) لم تعبه ثجلة (عظم البطن) ، ولم تزر به صعلة (صغر الرأس أو نحول البدن) ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج (سواد شديد) ، وفى أشفاره عطف (طول) وفى صوته صحل (ليس حاد الصوت) أحور أكحل أزج (فى عينيه حور ، وفى أجفانهما سواد خلقة كأنه مكتحل ، دقيق طرف الحاجبين ، شديد سواد الشعر ، وفى عنقه سطح (طول) وفى لحيته كثاثة . إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات نظم طوال يتحدرن ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هزر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا (لم تلتفت إلى الرابع لأن الخادم فى العادة يكون بعيدا) له رفقاء يحفون به إذا قال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره ، محفود (مخدوم) محشود (عنده قوم) لا عابس ولا مفند (كثير اللوم) . فقال أبو معبد هـذا والله صاحب قريش ، والله لو رأيته لاتبعته ولأفعلن إن وجدت لذلك سبيلا . وفعلا هاجر ، وأسلما ، رضى الله عنهما ، بل قيل إن أم معبد كانت مسلمة قبل ذلك .

٨ — لما وقف الأعداء بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه وغاظهم الله سبحانه باخراجه من بينهم سالما محفوظا بعد أن حثا على رءوسهم التراب جزعوا جزعا شديدا وحزنوا حزنا كبيرا وصاروا يطلبونه فى كل وجه فلم يعثروا له على أثر فجعلوا لمن يرده حيا أو ميتا مائة ناقة ، فبلغ ذلك سراقة بن مالك المدلجى فسال لعابه وتلهفت نفسه على هذا الجعل ، وظن أنه يستطيع بمفرده أن ينازل الأبطال الصناديد . ونسى أنه صلى الله عليه وسلم كان يمشى وحده مع أعدائه لا يبالى بهم . فركب فرسه وتقلد سيفه ورمحه وذهب مسرعا فأدركهم بقديد بعد منصرفهم من عند أم معبد وخيل إليه أنه سيبلغ منهم ما أمل وما هو ببالغه . فالتفت أبو بكر فرآه فبكى وقال : يا رسول الله أتينا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، اللهم اكفناه بما شئت . فساخت قوائم فرسه فى ذلك الحجر الصلد إلى الركبتين أو إلى البطن — وهذه خارقة بلا شك — فطلب الأمان فأمنه النبى صلى الله عليه وسلم فخلصت فرسه وقال : يانبى الله مرنى بما شئت . فقال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا أى ممن كان يطلبهم ، ففعل ، فكان أول النهار جاهدا على نبى الله وآخره حارسا له بسلاحه ، مع أنه لم يكن آمن بعد ، وهنا حصلت من النبى صلى الله عليه وسلم خارقة أخرى إذ أخبر بمغيب فقال لسراقة كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ، وقد حقق الله ذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه إذ جىء له فى الغنائم بالسوارين والتاج والمنطقة ، فدعا عمر رضى الله عنه سراقة وقد كان أسلم فألبسه السوارين بحضور الصحابة وقال بصوت مرتفع : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابيا من بنى مدلج » .

تلك هى خوارق العادات التى اقترنت بالهجرة الشريفة النبوية ، وكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من معجزة ظاهرة وخارقة للعادة واضحة . وأعظم ذلك وأدومه القرآن الكريم ، ولولا أن الله أجرى عادته أن يؤيد رسله بالمعجزات العظيمات التى تخرس ألسنة الأعداء المعاندين لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنية عن معجزة تؤيده غير نابعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من ذاته الشريفة ، فان له من نفسه عليها شواهد تدل دلالة واضحة قاطعة على صدقه صلى الله عليه وسلم فى أنه رسول من عند الله يؤدى رسالته إلى خلقه ويهديهم إلى صراط مستقيم . فقد كان صلى الله عليه وسلم طوال حياته قبل النبوة مثلا أعلى فى شرف النفس وحسن الخلق وعلو الهمة وصدق الحديث وعمل المعروف والبعد عما لا يليق والعطف على الخلق والصدع بالحق ، يأخذ بيد الضعيف ويكرم الضيف ويلاحظ الله بفطرته فيما يعمل ويذر فلا يعمل إلا الحسن ويصدف عن القبيح ، ويصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ، كما وصفته السيدة خديجة رضى الله عنها ، وكان لهذا الوقت لم يعرف أنه نبى ، ووصفه أبو سفيان وهو عدوه الألد قبل أن يسلم لعظيم الروم لما سأله عنه فقال : يأمرنا بالصدق والعفاف والصلة ، يقصد أن هذه كانت خلاله قبل النبوة . هل هذا كله إلا دلائل النبوة . وبعد فلو استغنى رسول عن معجزة تؤيده لكان أولى الرسل بذلك سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أشرف الخلق أجمعين وسيد الرسل الأكرمين وخاتم النبيين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر
ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

أقنعة الاستعمار

إن الاستعمار فى عصرنا الحديث لايجىء سافرا ، كاشفا عن ظفره ونابه ، وإنما هو دائما يحاول أن يضع من الأقنعة على وجهه ما يخدع به الناس عن حقيقة ما ينويه . لما جاء الاستعمار البريطانى بعد سحق انتفاضة وطنية باسلة قام بها شعبنا ، وهى ثورة عرابى ، لم يحكم البلد صراحة بضباط الإنجليز . . . لقد كان ذلك حريا أن يضعه أمام الشعب وجها لوجه ، وكان الاستعمار يرى أن خير ما يلائم أهدافه ويحقق أغراضه أن يختفى وراء الستار ولا يقف أمامه ، وأن يدير الملهاة ـ بل المأساة ـ من خلف المسرح ولا يظهر عليه . هكذا زيف الاستعمار تاجا ، وأقام من الوهم عرشا ثم بدأ يجىء بالدمى والأصنام يضع منها فوق رءوسنا ملوكا وأمراء .

جمال عبد الناصر ـ فى خطاب افتتاح مجلس الأمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من تاريخ الكفاح فى الجزائر :

الأمير عبد القادر

١٢٢٢ — ١٣٠١

أشهى إليه من الدمى	وألذ من عزف القيان
وقع الصوارم فى الوغى	يوم الكريهة والطعان
عبد الغنى النابلسى	

عبثا تحاول فرنسا أن تثبت أقدامها فى الجزائر ، وما كان لها أن تطمع فى ذلك ، وهى تلق أشد المقاومة منذ وطئت قدمها تلك الأراضى الطاهرة ، وبعد أن عبثت بكل المقدسات ، وتنكرت لكل مبادئ الأخلاق ، وأبسط قواعد المروءة والشهامة . وإن التاريخ ليحفظ فى طياته أروع وأجمل الصفحات عن الكفاح الجزائرى ، وحديثى فى هذا المقال عن الصفحة الأولى التى كانت — ولا تزال — فخرا لأبناء الجزائر ، بل ولأبناء الشعوب الإسلامية جميعا ، ولقد وقف كفاح الأمير عبد القادر منذ أكثر من مائة عام ، ولكن أحاديث هذا الكفاح لا تزال تملأ الأسماع ، وتعطر بطون الكتب .

وقد ولد الأمير عبد القادر فى قرية القيطنة من أعمال وهران — وهى قرية بوادى الحمام اختطها أحد جدوده فى رجب سنة ١٢٢٢ ، واشترك فى المعارك مع الفرنسيين وسنه أربع وعشرون سنة حين احتلت فرنسا الجزائر ، وقصة هذا الاحتلال عميقة الجذور فى التاريخ ، فقد كانت فرنسا تطمع فى هذا القطر منذ زمن بعيد ، وظلت هذه الأمنية تراودها حتى وجدت الفرصة سانحة فى سنة ١٨٣٠ م فاهتبلتها ، ومن تلك السنة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يبتدئ كفاح الشعب الجزائرى ، فينهض ليذيق المحتلين ألوانا من التعذيب والتقتيل ، فيقض مضاجعهم وينغص عليهم ما كانوا يحلمون به من عيش هنيء ، وكان الرائد الأول فى معارك الحرية ـ تلك المعارك التى ما كانت تهدأ إلا لتثور ـ هو عبدالقادر بن محيي الدين الحسنى ، ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب وأسلافه الأدارسة الذين أسسوا دولة قوية فى المغرب الأقصى ، وكان منهم القواد ، والعلماء ، والمجاهدون ، والزهاد ، وأقرب من استشهد من جدوده هو محمد المعروف بالمجاهد ، قتل فى حرب المسلمين مع الأسبان فى سنة ١١٦٣ هـ وهو جد والده ، وكان أبوه السيد محيي الدين ذا مكانة مرموقة فى قومه ، يلجأون إليه حين تكرثهم الخطوب ، وتدلهم الأحداث ، ويعمى عليهم وجه الرأى ، وحين دخل الفرنسيون الجزائر وعاثوا فيها فسادا ، جاءه الأشراف من كل فج ، وألحوا فى مبايعته بالإمارة على القطر فأبى ، ثم عاودوا الإلحاح عليه ، أن يتولى الإمارة ويقوم بالجهاد ، فقبل الجهاد ، ورد الإمارة ، واشتبكت جيوشه مع الفرنسيين فى مواقع كان النصر حليفه فيها ، ثم أصر قومه على أن يعقدوا البيعة له أو لابنه عبد القادر ، فوافقهم على الرأى الأخير .

ونستخلص مما كتب [١] عن الأمير عبد القادر أنه جمع ما تفرق من صفات أجداده فكان فارسا ، مجاهدا ، عالما ، كاتبا ، خطيبا ، زاهدا . وقد ظهرت بوادر فروسيته فى أول حربه مع الفرنسيين تحت لواء أبيه ، فقد أبدى من ضروب البسالة والصدق فى القتال ، مع بصر بتسيير الأمور ، ما برهن على جدارته بأن يكون زعيم قومه فى هذه الحقبة من التاريخ .

ولست أريد فى هذا الحديث أن أؤرخ للأمير عبد القادر ، ولكنى أريد أن أعطى عنه صورة مصغرة ، لعلها تذكر غافلا ، أو تنهض متقاعدا ، أو تقوى مجاهدا ، وحسب الأمير مجادة أن يحارب فرنسا وهى أكبر دولة من دول أوربا آنذاك ستة عشر عاما بجيش لم يكن يزيد عن ألفين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة فى حين أنه كان يقاوم جيشا يبلغ عدده مائة ألف وستة آلاف ما بين فارس وراكب وراجل ، ذلك الأمر الذى حير

---

[١] كتب عن الأمير عبد القادر كثيرون ومن أجمع الكتب كتاب تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر . ألفه ابنه محمد فى جزءين . الأول فى سيرته الحربية . والثانى فى سيرته العلمية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مؤرخى الفرنسيين أنفسهم ، وملأ نفوسهم تعجبا منه ، ولا غرو فان من كان دائما يرى المنية ولا الدنية ، ويدافع عن مجد قومه وأعراضهم ، لا يبغى إلا مرضاة الله تعالى ، حقيق بأن يثبت أمام أقوى الجيوش وأكثرها عددا . وقد شهد غير واحد من قواد الفرنسيين ومؤرخيهم وكتابهم للأمير عبد القادر . فيقول المارشال سوليت الفرنسى فى سنة ١٩٤٠ م : (لا يوجد الآن أحد فى العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاثة أشخاص ، كلهم مسلمون ، وهم الأمير عبد القادر ، ومحمد على باشا ، والشيخ شامل) .

وقد كان الأمير حريا بأن يكون له النصر فى النهاية على الأعداء ، لولا أنهم لجأوا إلى أسلحة دنيئة لا يجيدها إلا أمثالهم من أصحاب النفوس الوضيعة ، والأخلاق المريضة ، فقد عقدوا معه معاهدتين ولم يكونوا معتزمين — كعادتهم دائما — الوفاء بما فيهما ، وإنما كانوا يقصدون كسب الوقت وكذلك بثوا الدسائس بين بعض القبائل ، وهيجوها عليه ، كما ألبوا عليه سلطان المغرب ، وقد كان ألم الأمير لذلك شديدا ، ينم عنه ما جاء فى استفتاءاته لعلماء مصر ، وعلماء فاس بشأن هؤلاء المسلمين الذين عظم بهم الخطب واشتد بهم الكرب ، فداخلوا العدو ، وجلبوا له المواشى وجياد الخيل ، ودلوا على عورات المسلمين ، ثم وجدوا فى قومهم من يتستر عليهم ويدافع عنهم ويمالئهم .

أما سلطان المغرب فقد أضر بالمجاهدين ضررا بليغا ، ولم يلتفت — على حد قول الأمير عبد القادر — إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه » ، ولا إلى قوله : « المؤمن لأخيه كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ولا إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

ومن مفاخره موقفه فى فتنة دمشق (١) حين أعمل المسلمون التقتيل فى المسيحيين ، فدافع الأمير عن هؤلاء ، وحفظ دماءهم وأموالهم ، مما أوجب شكره من الأفراد والجماعات والدول مسلمين وغير مسلمين ، وكان يرى أن هذا العمل هو مقتضى الشريعة السنية ، والمروءة الإنسانية ، لأن البغى مذموم فى كل الأمم ، مرتكبه ملوم ، ولكن .

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

---

(١) تعرف هذه الحوادث بحوادث سنة ١٨٦٠ كانت أولا فى لبنان لأسباب سياسية ، ثم امتد لهيبها إلى دمشق .

هكذا يقول الأمير ، ويجىء فى خطاب الشيخ شامل له شكر على هذا العمل ، وذكر للحديث النبوى الكريم : « ألا من ظلم معاهدا أو تنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيبة نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » ، وتشهد له الصحف الفرنسية ، وترى فى خصمها القديم ـ هذا العدو المخيف للفرنسيين على حد تعبيرها ـ مخلصا لألوف من نفوس المسيحيين (أن عدونا القديم فى الجزائر قد جعله الله الآن سببا لإنقاذ المسيحيين فى الشام) .

وما زال الأمير طول حياته ذاهمة عالية وصبر على الشدائد ، التى لو ألمت بغيره لأذلته إذلالا ، كما يقول أحد المؤرخين الأوربيين ، آمن بربه ، وبوطنه ، وبنفسه ، فجاهد وناضل ، وعاش عزيزا ، ومات مكرما ، وتوفى فى سنة ١٨٨٣ م ، ودفن فى الصالحية ـ بدمشق ـ عند الشيخ محيي الدين بن عربى داخل القبة ـ رحمه الله ؛

على الصارى
مكة المكرمة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حكم

* خير مالك ما وقاك ، وشره ما وقيته .
* جزاء من يكذب أن لا يصدق .
* ظلم الضعيف أفحش الظلم .
* صبرك على الاكتساب خير من حاجتك إلى الناس .
* ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .
* صاحب المعروف لا يقع ، وإن وقع وجد متكأ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسالة الصحافة

تعتبر الصحافة من أخطر الوسائل فى التوجيه والتأثير ، لأنها تظهر كل يوم ، وتدخل كل بيت ، ويطبع منها عشرات الألوف من النسخ ، وهى فى الأصل سجلات يومية لوقائع الحياة وأحداث المجتمع ، ومنبر للتعبير عن الرأى العام وتوجيه أفكار الناس نحو الحق والخير ، ولو استقام أمر الصحافة ، وكان شعارها الحق والصدق والإخلاص والأمانة ومراقبة الله والضمير والخلق والمصلحة العامة ، صارت أدق مرجع للمؤرخ حين يؤرخ ، وأعمق مصدر للباحث حين يبحث .

ولشدة تأثير الصحافة سموها : « صاحبة الجلالة » ، وما زال بعضهم يسميها كذلك ، ويلقبها بذلك اللقب مع أنه قد هوت عروش وسقطت تيجان ! ! . .

والصحافة الشريفة النظيفة لا بد لها من عقيدة ومبدأ ، فهى تؤمن بتلك العقيدة وتستهديها ، وتدافع عن ذلك المبدأ وتناصره ، وتجند أقلامها ورجالها وصفحاتها وكلماتها لتمجيد ما تعتقد ، وتأييد ما ترى ، محاولة حمل غيرها على مبدئها فى غيرة وإخلاص وحكمة ، حتى يتحقق لها شرف الاعتقاد والجهاد الذى أشار إليه الشاعر حين قال :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا ... إن الحياة عقيدة وجهاد !

فإن لم تكن الصحافة كذلك صارت صحافة تجارة ، أو صحافة نفاق ، أو صحافة انحلال ، أو صحافة استغلال ، أو أى شىء آخر سوى أن تكون صحافة قوية كريمة . . ولقد وصف « شوقى » الصحافة الحرة الصادقة القويمة النزيهة بأنها :

لسان البلاد ، ونبض العباد ... وكهف الحقوق ، وحرب الجنف

فهل تصدق هذه الأوصاف المجيدة ـ حقيقة ـ على كل صحافة العصر الحديث ؟ وهل الصحافة جميعها تترجم صادقة عن مشاعر الناس وعواطفهم ، وتدافع عن حقوقهم ومصالحهم ؟ . . وهل هى حقا تصلح الفاسد ، وتعدل المعوج ، وتقوم المنحرف ؟ . .

إن كثيرا من أنهار بعض الصحافة يسيطر عليها طائفة من المتحللين والملحدين والمتفسخين فى أخلاقهم وعقائدهم ، الذين يتخذون الصحافة مرتعا خصيبا وميدانا رحيبا

لبث دعواتهم الإلحادية ، وإذاعة مبادئهم التحللية ، وهم ينشرون وباءهم فى جرأة ، ويتواصون باذاعة المنكر فى عزيمة ، ويتعاونون على الإثم والضلال فى قوة ، ويستغلون بعض الظروف ، ويتسترون وراء بعض الحواجز والأستار ، ويبثون ما يبثون بلا وازع أو رادع ، ناسين أو متناسين أن الله عز وجل وصف عباده الأخيار بأنهم : « الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » ، ومعرضين عن أمر ربهم القائل : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ! .

ومعاذ الله أن ننكر وجود الخير القليل وسط طوفان الشر الزاحف ، فهناك من الصحف نوع شريف عفيف ، ولكنه غريب غربة الأيتام فى دنيا اللئام ، ولقد كان هناك مثلا من يجعل شعار صحيفته هذه الكلمات :

باسم الكنانة واسم شعب ناهض ... لا باسم أحزاب ولا زعماء
كل يزول وينقضى ، أما الحمى ... فوديعة الآباء للأبناء

ولكن هؤلاء الشرفاء الأوفياء الأعفاء فى دنيا الطمع والنفاق والتضليل يعيشون غرباء ، ويموتون فقراء ، بينما يستطيل غيرهم من الوصوليين الأدعياء ! ! .

وأنت قد تتناول مجموعة من هذا النوع من صحف الزور والباطل ، فاذا هى - على الرغم من اختلاف الأسماء والعناوين والأشكال والأحجام - صور متشابهة ، ونسخ معادة مكررة ، حذوك النعل بالنعل ، لا تكاد تختلف فى الموضوعات ، ولا فى العبارات ، وكأن يدا واحدة قد طبعتها ثم نوعت أسماءها ، فلا تستطيع أن تميز بين واحدة منها وأخرى فى مبدأ أو اتجاه أو منهاج أو عقيدة ، بل الكل متشابه متماثل . . . وأغلب أنهار هذه الصحف المتحللة يفيض بالنفاق الرخيص ، والتضليل الرقيع ، والصور النسائية الفاحشة ، والقصص الغرامية الماجنة ، والأسرار البيتية الفاضحة ، والأخبار العائلية الجارحة ، والدعوات الإلحادية الهدامة ، إلى غير ذلك من معاول التخريب ووسائل التدمير ، مع أن الله تبارك وتعالى يقول : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ! .

وتبحث عن الهدف الأخلاقى ، أو التهذيب الاجتماعى ، أو التوجيه الروحى ، أو الحياء الدينى ، فى هذا اللون القذر من الصحافة ، فلا تكاد تجد طلبتك ، وربما وجدت فيه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كل شيء إلا الغيرة على الدين والأخـــلاق والحرمات ، أو الأمانة فى النقل والقول ، أو الصدق فى التسجيل والتاريخ .

« ترضى » هذه الفئة من أهل هذا اللون من الصحافة عن بعض الناس ، فترفعه وتكيل له المديح بلا حساب ، وتقلب سيئاته إلى حسنات ، وتبالغ فى وصف ما قد يكون له من حسنات ! ... « وتسكره » هذه الفئة بعض الناس فتنال منه ، وتفترى عليه ، وتشوه سيرته ، وتختلق حوله الإشاعات والأباطيل ، وتسرف فى ذلك إسرافا وخبا ... « وترغب » هذه الفئة فاذا هى ذيول وأتباع ، وأسارى شهوات وعبيد أطماع ، فتقلب الحق باطلا والباطل حقا ، وتتبجح فى مسخ الحقائق وتغيير الوقائع ... « وترهب » فاذا هى سباقة إلى مواقف الذلة ودركات الهوان ! ! .

وإذا صار هذا هو الديدن والمألوف فى افتراء التصوير والتسجيل ـ كما يفعل هؤلاء ـ فما أصدق كلمة من قال : إن التاريخ مجموعة من الأكاذيب ! ... وما أسرع أهل الغيرة والإنصاف إلى قولهم : إن هذا هو التاريخ فنشهد الله أننا كافرون بهذا التاريخ ! .

ألا يذكر هؤلاء المتجارئون على الله وعلى الحق وعلى الناس قول المنتقم الجبار : « ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم (أى يهلككم ويستأصلكم) بعذاب وقـــد خاب من افترى » . وقوله : « إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » ! .

لقد كتب أحد المحررين المنافقين فى صحيفته مقالا طويلا كليل الثناء ، رفع فيه أحد الحاكمين فى بلد ما إلى السماء مدحا وإطراء وثناء ، ثم جاس المحرر عقب ذلك فى مجلسه الخاص يطعن فى ذلك الحاكم ! ... يطعنه فى رجوليته ودينه وعرضه ، فتعجب من ذلك أحد سامعيه وقال للمحرر : ولكن ، كيف يتفق هذا مع مقالك عنه ؟ . فأجاب المحرر : وماذا أصنع وهـــو حاكم يضر وينفع ، وصحيفتى يوزع منها فى بلد هـــذا الحاكم آلاف النسخ .

وهكذا فليكن تدهور الأخلاق فى دنيا النفاق ! .

وترى بعض هؤلاء المتفسخين فى دينهم وأخلاقهم يوسعون القول فى إنكار الله ، وفى السخرية من الأديان ، وفى التهكم على علماء الدين ، وفى التندر على الدعوات الروحية ، ويدعون إلى الدعارة واستباحة الأعراض والحرمات ، وإذا اعترض عليهم أحد فى ذلك قالوا : إن هـــذا الاعتراض عدوان على حرية الرأى وحرية الفكر وحرية النقد ، ولسنا ندرى لماذا تظهر جرأتهم وحريتهم فى مهاجمة حرمات الله وحدها ؟ . ولماذا لا تظهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حريتهم أو جرأتهم فى نقد العتاة الفاسقين من البشر ... لماذا تكون أيها الحر المتحلل جريئا وقحا فى هجومك على حرمات الله وحدها ، ولا نجد فيك هذه الجرأة أو بعضها وأنت تتحدث عمن ترهبهم أو تملقهم من أهل الجاه والمال ؟ : « أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » ! . ولماذا تكون مجنون الحرية وأنت تتحدث عن أعراض النساء والدعوة إلى الفسق والفجور ، ولا تكون حرا أو شبه حر إذا دعيت إلى الدفاع عن المهضومين أو الانتصار للمنكوبين ؟. لماذا تكون سفيها مسرفا وأنت تتطاول على قوانين السماء وهدى الرحمن الرحيم ، ثم تكون جبانا كل الجبن وأنت تتحدث عن نظم البشر وقوانين الأرض ؟.

ألئن عينك القاصرة لا ترى أمامها لله جيوشا ولا جنودا ولا محاكم ولا سجونا « ولله جنود السموات والأرض » ، « وما يعلم جنود ربك إلا هو » ! . . . ألئن الله الحليم لم يسارع إليك بالانتقام منك أولا بأول ؟ . . . « سأريكم آياتى فلا تستعجلون » ، « أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون » !

أما بعد فيا أبناء الإسلام . . . اتقوا الله فيما تقرأون أو تطالعون : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ، دققوا فى الصحيفة التى تشترون ، وفى المجلة التى تفضلون . . . حاربوا الصحافة الرخيصة العليلة المتوفة بالإعراض عنها والاعتراض عليها . . . لا تشجعوها بالإقبال عليها ودفع المال فيها ، ولا تسكتوا عن انتقادها والمقاومة لباطلها بكل أسلوب مشروع ، فانه من أكبر الأكاذيب أن يقال عن هذه الألوان الماجنة الآثمة من صحافة الزور والباطل والافتراء إنها « صاحبة الجلالة » بل الأصح أن يقال إنها « صاحبة الضلالة » .

وإن كل مثقف له صحيفته اليومية ومجلته أو مجلاته المألوفة عنده ، ولا أقل من أن يطعم المسلم ما يقرأ ببعض ما يصدر من مجلات دينية ، وهناك عدد من هذه المجلات الدينية يستأهل التأييد والإقبال ، وهذه المجلات على الرغم من ضعف إمكانياتها ، وقلة رأس مالها ، وضيق الإقبال عليها ، وعدم التفنن الكافى فى إخراجها وتوزيعها ـ لاتزال أصواتا مذكرة بالله ، وبحقوق الله ، وبلقاء الله ، نخذوا بناصر هذه الصحافة الدينية ، وأقبلوا عليها ، واعملوا لتأييدها وتثبيتها وتقويتها وإصلاحها والإكثار منها ، فان استقامة الطريق أمامها يساعد على استقامة الطريق أمامكم ! .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حديث عيد الأضحى المبارك

عام ١٣٧٦ هـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فانه يجمل بي في هذا اليوم السعيد المبارك ، أن أبعث بالتهنئة زكية طيبة ، إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأقدمها خالصة مخلصة ، لوفد الله في الأراضي المقدسة ، هؤلاء الذين أقبلوا على ربهم ، آمين رحاب بيته الكريم ، خالعين أنفسهم عن لهو الدنيا وصوارفها ، متجردين من ألوان متاعها وزخارفها ، متحلين بحلية التسامح والتواد فيما بينهم ، متحلين بمظاهر المجد والقوة في عبادتهم ، وبصدق الإخلاص في طلعتهم لربهم ، هاتفين من أعماق قلوبهم ، بالتلبية وآيات التعبد والحمد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » نشيدا روحيا يرن صداه في الأجواء ، وتخشع لجلاله الأرض والسماء .

أحيي هؤلاء الذين أفاضوا من الموقف العظيم في عرفات والمشعر الحرام ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وبما أفاض عليهم من عظيم بره .

أحييهم وأهنئهم بهذا اليوم المشهود ، الذي جعله الله فرصة لتلاقي نفحات جوده ، والفوز بعفوه ومغفرته ، إنه أحد العيدين الكريمين ، اللذين يعلن فيهما المسلمون ابتهاجهم بنعمة الله وتوفيقه ، لأداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام ، هما صوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام ، بل إن هذا العيد الأكبر هو أكرم العيدين وأعظمهما عند الله ، لما يحمل من ذكريات كريمة ماجدة ، تهدي إلى الخير ، وتزخر بأسباب العزة والمجد .

إن شرائع الله جميعها هي أصل كل خير وبر ، ومنبع كل هداية وصلاح ، وهي للناس جميعا ـ في حياتهم الفردية الخاصة وشؤونهم الاجتماعية العامة ـ أقوى معين على سلوك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أقوم الطرق وأيسرها لدرك ما يتمنون من هناء وعزة فى هـذه الحياة وسعادة ورضـوان من الله فى الحياة الآخرة حياة البقاء .

ولقد جاء الإسلام بتشريعات هيأت الفرص لاجتماع المسلمين وتعارفهم وتعاونهم ، و بارك كل اجتماع يحقق هـذا المعنى و يؤكده بينهم كاجتماعات الصلوات اليومية وصلاة الجمعة والعيدين ، كما بارك كل مجلس يقصد للخير والبر و يعمل فيه على الإصلاح والتقريب بين جماعات المؤمنين .

وإن أكبر اجتماع يحظى بعظيم البركة من الله ، هو ذلك الاجتماع الذى يتخطى الحجب والسدود ، وتتلاشى فيـه الفوارق وتمحى المعصيات هو اجتماع الحج ، الذى يفـد إليه المسلمون من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم و يؤدوا شعائر الله ، و يرسموا الخطط الصالحة لتنظيم حياتهم وترقية شئونهم و إسعاد أوطانهم .

إن ذلك الموسم السنوى الجامع ، الذى يتمكن فيه المسلمون من عقد مؤتمرهم العام فى الحرم المبارك الآمن ، يجب أن يأخـذ الناس فيه من الرسول أحسن الأسوة وأعظم القدوة ، وأن ينتفعوا بمـا أثر عنه عليه الصلاة والسلام من بالغ التقوى والإرشاد .

فى مثل هـــذا اليوم من السنة العاشرة من الهجرة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس خطبته الجامعة فى حجة الوداع ، تلك الخطبة التى أكمل بها التوجيه ، وأفرغ فيها بالغ النصح ، وأوضح بها المعالم ، وأجمل فيها الأسس والمبادئ ، وثبت الأصول وأحكم القواعد ، وأرشد النـاس إلى ما يقيم لهم أمر المعاش والمعاد . ومما قاله صلوات الله وسلامه عليه فى خطبة الوداع :

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالـكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألـكم عن أعمالـكم ، ألا لا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، وقد تركت فيكم ما ان تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، ألا هـــل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع .

هذا هو التوجيه النبوى السديد ، الذى تتجلى به مزايا الإسلام فى حرصه على السلام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والاستمساك بأسباب القوة ، وفى تحذيره من عواقب الخلاف والفرقة ، فليعتبر به المسلمون لعلهم يرشدون .

أيها الحجاج المؤمنون ، أيها القادة أيها الزعماء المخلصون ، يامن لهم شأن أى شأن فى ولاية أمور المسلمين وتدبير صوالحهم فى أى ركن من أركان الأرض ، أسألكم أن تعاهدوا الله ـ وأنتم بمكان يجل فيه خطر المواثيق والعهود ـ أن تكونوا يدا واحدة ، وكلمة واحدة ، وأن تتصافوا وتتصافحوا وتطهروا قلوبكم مما عسى أن يكون قد مسها من آثار حقد أو ضغينة ، فان المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه .

ثم لتأخذوا حذركم من عدوكم ولتجعلوا مشاكلكم بأنفسكم ولا تجعلوا أمركم غمة عليكم ، وارتأوا بدينكم وقوميتكم ووطنيتكم أن يستهويها أو يستذلها أهل الغدر والخداع من أعدائكم .

إن الإسلام يأبى لأهله الذلة والمهانة ، والعروبة الأصيلة لا ترضى أن تخضع لعوامل التسخير والسيطرة ، والشرق كله أدناه وأقصاه وأوسطه يكره أن يكون مستغلا أو حقلا مهملا للغرب يستنفد كل ما فيه من ثروة وذخيرة . والوعى العام الراشد لا ينبغى أن يغتر بأساليب الماكرين الغادرين .

إنه لا ينبغى أن يكون ظن العدو بكم أنه قد بلغ منكم الضعف والهوان على أنفسكم مبلغا يبيح له أن يضربكم بعضكم ببعض أو أن يضرب الحصار الاقتصادى عليكم أو على شعب من شعوبكم ، فارصدوا لخططه حتى ترتد اليه فاشلة واعملوا على مكافحة مكايده كى تعود عليه خائبة خاسرة وثقوا أن النصر مع الصبر وأن الله مع الصابرين .

أيها المسلمون : يجدر بنا فى هذا اليوم المبارك أن نكثر من أعمال البر ، التى تقوى الرابطة بين المسلمين وتشيع فيهم روح المودة والأخوة ، ويجب علينا ونحن فى يوم التضحية والفداء ، أن نذكر إخواننا لنا فى فلسطين والجزائر وجنوب شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الإسلامية التى منيت بألوان من البغى والعدوان ، إنهم يقاسون من أيدى المستعمرين أشد الأذى والنكال ولكنهم لا يذلون ولا يخضعون بل هم يناضلون بكل ما أوتوا من قوة وجهد لتخليص حقوقهم من أولئك الغاصبين المستبدين ، فلنمدهم بما نستطيع من عون ، ليشعروا أن لهم إخوة يحسون بإحساسهم ويشاركونهم فى آلامهم وآمالهم ، فتقوى بذلك روحهم ويشتد أزرهم وتتفتح نفوسهم بالرجاء فى نصر الله القوى العزيز .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا وليعلم المستعمرون الباغون أن اليوم غير الأمس ، وأن المسلمين الآن فى يقظة واعية ، وإيمان بالحق قوى ، لا تزعزعه الاعتداءات الوحشية ، ولا الأحلاف العسكرية ، ولا الأموال التى ينفقونها لتفريق الصفوف ، وإضعاف الشوكة ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون .

أيها المسلمون : خذوا من تضافر أولى البغى والغدر عليكم عبرة وعظة وكونوا دائما أمامهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، سبيلكم سبيل الله الذى يحقق لكم العزة ويدرأ عنكم المهانة ويلقى فى قلوب أعدائكم الرعب والفزع . وقد رفعكم الله إلى سبيل المجد وحذركم أن تسلكوا طريق العدوان بقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .

أسأل الله أن ينصر المجاهدين ويعز الإسلام والمسلمين ويرد كيد المبطلين وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

غارة إسرائيل على غزة

فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب افتتاح مجلس الأمة :

كنا قبل غارة إسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ نعتبر خطر إسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء أوطاننا ، ونعتبر أن خطر إسرائيل فى حقيقة أمره هو ضعف العرب ، فاذا استطعنا أن نبنى أمتنا الكبيرة التى نحلم ببنائها فان خطر إسرائيل يتلاشى ... ولكن دخان غارة إسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير انجلى عن كشف حقيقة خطيرة هى أن إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنه ، وإنما إسرائيل فى حقيقة أمرها رأس الحربة للاستعمار ، ومركز تجمع لقوى أخطر من إسرائيل وأخطر من الاستعمار ، وهى الصهيونية العالمية ... كانت هذه الحقيقة التى انجلى عنها دخان الغارة على غزة نقطة تحول فى تفكيرنا ، وفى اتجاه الأحداث فى المنطقة كلها . لقد تبين أن مشكلة إسرائيل ليست مشكلة داخلية إلى الحد الذى كان يبدو قبل غارة غزة ، وتبين أننا لا نستطيع أن نمضى فى معركة البناء غافلين عن الخطر الذى يهدد ما نبنيه ، ويهدد وجودنا بأسره .

الهجرة والتضحية والفداء

الهجرة فى الإسلام من مكة إلى المدينة من الأحداث المهمة التى كانت فيصلا بين عهدين ، عهد الضعف والقلة والاضطهاد ، وعهد القوة والعزة والانتصار ؛ ولا نكاد نعلم فى التاريخ الانسانى حادثا كان مسرحا للتضحية والفداء وبيع النفس ابتغاء مرضاة الله والإستهانة بكل شىء فى الحياة فى سبيل العقيدة مثل ما عرفنا ذلك لحادث الهجرة ، فقد هاجر المسلمون رضية بذلك نفوسهم لا يلوون على شىء من ولد أو أهل أو مال أو دار وضربوا فى هذا الباب أروع مثل للتضحية والفداء .

وأول ما يطالعنا من قصة الفداء فى الهجرة ما كان من فتى الفتيان وسيد الشجعان الذى تربى فى مهد النبوة ونهل من معينها الصافى علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صار فيما بعد زوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء فقد أمره رسول الله ليلة عزم على الهجرة أن ينام على سريره وأن يتسجى ببرده الحضرمى كى يكون فى ذلك تعمية على المشركين الذين وقفوا على بابه مترصدين لقتله ، فكانوا كلما ملوا من الانتظار نظروا من شقوق الباب فوجدوا النائم لايزال على السرير فيعللون أنفسهم بأنه لن يفوتهم ، وقد كان لهذه الحيلة البارعة أثرها الحسن ، فقد وقفوا طوال ليلهم يترصدون النائم أن يخرج بينما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد خرج عليهم وقد أخذ الله بأبصارهم وختم على أسماعهم فلم يشعروا به وذهب إلى صاحبه الصديق وخرجا إلى حيث اختفيا فى الغار .

إن الإنسان ليعجب من فتى كعلىّ فى مقتبل الشباب يرجو العمر الطويل ويأمل الآمال الحلوة العريضة كيف يسرع إلى إجابة رسول الله وهو يعلم أنه على قيد أذرع من فتيان أشداء امتلأت قلوبهم بالحقد والضغن وأمسكت أيديهم بالسيوف المشحوذة التى فى متونها الموت المحقق . ولكن العجب سرعان ما يزول إذا ما علمنا أثر الإيمان حين يعمر القلوب فإنه يستعذب العذاب ويستهين بالبلاء فى سبيل العقيدة والمبادئ الشريفة ، وندع الفدائى الشاب ، لنرى ما صنع الفدائى الأكبر أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى هذه الليلة الخالدة على الزمن .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من نوادر المخطوطات :

اعلام الساجد ، بأحكام المساجد

كتاب جليل القدر ، نادر الموضوع . وضعه مؤلفه العلامة الزركشي في أحكام المساجد ، وجمع فيه كل ما يتعلق بهذا الموضوع ، واستقصى في ذلك ، حتى لتكاد تجزم بأنه لم يشذ عنه حكم يتعلق بالمساجد من قريب أو بعيد . وقد أفرد كلا من المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، بباب خاص ، ثم جمع الحديث عن غيرها من المساجد في باب واحد ، وهو حقيق بقول مؤلفه : هذا كتاب ينزل من القلوب منزلة الجنان ، ومن العيون منزلة الإنسان ، لم ينسج له على منوال ، ولم تسمح له قريحة بمثال ، يشتمل على الأحكام المختصة بالمسجد الحرام ، ومسجد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، والمسجد الأقصى وغيرها من مساجد الإسلام ، قد أتى في هذا الباب بالعجب ، وحاز قصب السبق ما كتب الطرب (كذا) ، وصار لقصاد الحرم ميقاتا ، ولورود حياض الفضل ماء فراتا .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد أغفله المترجمون للزركشي فلم يذكروه ضمن مؤلفاته ، ولعل ذلك لعدم تداوله وربما كانت النسخة التي بين أيدينا هي النسخة الفريدة للكتاب ، وقد ذكر صاحب كشف الظنون اسمه فقط ، ولم يذكر نبذة عنه كما يفعل في غيره من الكتب مما يدل على عدم اطلاعه عليه .

وقد حصر المصنف كتابه في فاتحة وأربعة أبواب ، وتكلم في الفاتحة عن تعريف المسجد لغة وشرعا ، وأول مسجد وضع في الأرض ، وعن فضل بناء المساجد .

وتكلم في الباب الأول عن المسجد الحرام وما يتعلق به ، وعن مساحته وبنائه ، وعن الكعبة كذلك من هاتين الناحيتين ، وعما تعرضت له من الحوادث ، وعن كيفية الصلاة في المسجد الحرام والكعبة ، وفضل الصلاة فيهما . ثم استطرد إلى الكلام عن مكة وعن بعض المشاعر كمنى وعرفات ، وعن حدود الحجاز وجزيرة العرب وغير ذلك ، وجعل ذلك في مسائل عدتها ١٢٤ مسألة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتكلم ـ فى الباب الثانى عن المسجد النبوى وكيفية بنائه ومساحته ، وعن المدينة وحدودها وأسمائها وهل هى حجازية أو شامية ، ويستطرد فى الكلام لأدنى مناسبة على الطريقة الجاحظية ، فقد ذكر عند الكلام على المدينة ما جاء من الأحكام فى عالم المدينة وهو الإمام مالك رضى الله عنه ، وذكر جملة من خصائصها وأحكامها كتحريم صيدها وشجرها ، وفضل الصلاة فيها وفى مسجدها واختصاص أهلها بمزيد الشفاعة وأن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم كما روى عن مالك ، وجعل عدة مسائل هذا الباب أربعين مسألة .

وتكلم ـ فى الباب الثالث عن المسجد الأقصى وذكر أسماءه وهى سبعة عشر اسما ، كما تكلم عن بنائه وفضله وعدد جملة من أحكامه فى مسائل بلغت عشرين مسألة .

وتكلم فى الباب الرابع عما يتعلق بالمساجد جملة من الأحكام مما يتعلق باحترامها وتنظيفها واتخاذ الشرفات فيها والبناء عليها وزخرفتها وتبخيرها وفرشها وتعليق القناديل فيها وغلقها فى أوقات الصلاة ، وعن حكم صلاة المرأة فى المساجد ، واستطرد فى هذا الباب كما استطرد فى غيره فذكر فيه ما يتعلق بالأذان وألفاظه وهيئة لباس الخطيب وجواز تعليم الصبيان فيه إلى غير ذلك ، وعدة مسائل هذا الباب ١٣٧ مسألة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وبالجملة فان هذا الكتاب لم يغلت منه فيما نظن شىء من أحكام المساجد ، فهو فريد فى بابه ، والنسخة التى نتحدث عنها هى من كتب رواق الحنفية التى ضمت إلى المكتبة الأزهرية حديثا ، وهى من أقدم النسخ إن لم تكن أقدمها ، وربما كانت النسخة الوحيدة له ، فقد ذكر ناسخها أنه قد نقلها من نسخة سقيمة جدا « وقد بيض المصنف من نسخته مواضع » والظاهر أنه نقلها من مسودة المؤلف وهى قديمة جدا ، فقد كان نسخها سنة ٨٤٥ هـ أى بعد وفاة المصنف بنحو ٥٠ سنة على ما يأتى فى ترجمته .

وقد جاء فى آخرها : « آخر كتاب إعلام الساجد ، بأحكام المساجد ، تصنيف الشيخ بدر الدين الزركشى ، علقه لنفسه على استعجال لأمر اقتضاه الحال فى آخر المحرم سنة ٨٤٥ هـ محمد بن محمد بن عبد الله الشافعى غفر الله ذنوبه » ، وخط النسخة جيد بالنسبة لخطوط ذلك الوقت وورقها جيد كذلك ، وهى سليمة من النقص والطمس والتحريف وعدد أوراقها ١٠٨ ورقة وعدد سطور كل صفحة ٢٣ سطرا ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١٤ كلمة ، وعليها تمليكان أحدهما فى سنة ١٠٨٤ هـ والثانى سنة ١١٠٣ ، والظاهر أنها لم تتداول كثيرا ، فليس عليها تعليقات أو تصحيحات كما يحصل عادة فى الكتب التى يكثر تداولها ، ومؤلفها هو : بدر الدين أبو عبد الله محمد بهادر بن عبد الله الزركشى المنهاجى المصرى كان أبوه تركيا مملوكا ، وتعلم المترجم له صنعة الزركشة فنسب إليها ، وقد عنى بالعلم فأخذ عن الشيخين جمال الدين الأسنوى ، وسراج الدين البلقينى ، ورحل إلى حلب ودمشق وأخذ عن علمائهما ومنهم الحافظ ابن كثير .

وقد تبحر فى العلوم وصار يشار اليه فى الفقه والأدب والحديث ودرس وأفتى ، وكان زاهدا منقطعا للعلم ، وله من أقاربه ما يكفيه مئونة العيش ، ومن تصانيفه البحر المحيط فى الأصول فى ثلاثة أجزاء، وهو مخطوط ، وتشنيف المسامع بجمع الجوامع فى الأصول أيضا ، وهو مطبوع ، ولقطة العجلان فى الفقه والحكمة والمنطق وهو مطبوع ، والديباج فى توضيح المنهاج ، والمنثور المعروف بقواعد الزركشى وهما مخطوطان .

وله هذا المؤلف الذى نتحدث عنه : إعلام الساجد فى أحكام المساجد ، ولم يذكره المؤرخون ، ولعل ذلك لقلة تداوله كما أسلفنا ، وقد ولد الزركشى سنة ٧٤٥ هـ ، وتوفى سنة ٧٩٤ ودفن بالقرافة الصغرى .

أبو الوفا المراغى

سياسة الاستعمار

أرادوا مرة امتحان السياسيين فى بلاغة السياسة ، فطرحوا عليهم هذا السؤال :

سرقت حقوق أمة ضعيفة ، فاكتب كيف تشكرها على هديتها .

مصطفى صادق الرافعى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بحث للدرس والتمحيص :

نظرة فقهية

في قانون معاشات الموظفين وحكم صندوق التوفير بالبريد ، وكل معاملة تكون الحكومة فيها طرفا أول والجمهور طرفا ثانيا .

يظن كثير من الناس أن كل معاملة فيها شيء اسمه فوائد وأنه بنسبة كذا في المائة أنه معاملة ربوية أو شبه ربوية لأن فيها عوضا في غير مقابل ، أو لأنها ليس فيها تكافؤ في العوض . وعلى هذا الظن أحجم ناس ورعا عن قبول المعاملة بقانون المعاشات في وظائف الحكومة ، وقبله ناس على مضض منهم ، وآخرون قبلوا غير مبالين إن كان ربويا أو غير ربوي فوقعوا في ذنب الاستهتار وعدم المبالاة في المعاملة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كذلك امتنع خلق عديد عن وضع توفيرهم وأموالهم بصندوق البريد بحجة أن المصلحة تعاملهم بفوائد نسبية تعطيها لهم في مقابلة إيداعهم تلك الأموال فيها بنسبة ٢٫٥ في ٪ ، وآخرون يحرون إيداعها بصفة أمانة لا شيء من الفوائد فيها .

وحتى أسهم المشروعات التي تصدرها الحكومة وتقول إنها تصرف كل سنة لأصحابها كذا في المائة أرباحا وفوائد لأصحاب هذه الأسهم ، رأيت بعض الشيوخ يفتي الناس بأنها حرام وأنها ربا ، وهذا بمجرد أن يسمع كلمة « فوائد » . فلننظر في هذه المعاملات هل هي معاملات ربوية بين الجمهور وبين الحكومة في أسهم هذه الشركات ومعاشات الموظفين وفوائد صندوق التوفير ؟ أم أنها معاملات خالية من الربا المعروف شرعا ؟

ولننظر أولا فيم يكون الربا المنهي شرعا ؟

يكون الربا في البيوع والمبادلات ، ويكون فيما تقرر في الذمة كأن يقترض مائة جنيه ليدفعها ١٠٥ جنيه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومعاملة الحكومة لموظفيها وللجمهور فى مسألة صندوق التوفير وللمساهمين فى مشروعاتها ولموظفيها ، كل هذا من نوع المعاملة التى فى الذمة ، ومثل الحكومة فى ذلك كمثل كل هيئة تعامل آخرين مع فرق فى بعض الوجوه ، إذا الربا الذى يأتى فى البيوع بالتفاضل أو النسيئة لا حاجة إليه هنا فليست هذه المعاملات من قبيله .

ولنبدأ بالكلام على معاشات الموظفين هل فيها ربا أو شبهة ربا ؟ أم هى خالية من ذلك ؟ والمعترضون على السادة العلماء الموظفين لدى الحكومة فى تعاملهم بقانون المعاشات لا حق لهم فى اعتراضهم إطلاقا .

ولنقرر شبهة هؤلاء المعترضين أولا الظانين أن المعاملة بقانون المعاشات فيها ربا قطعا على حسب ظنهم ، لأن الحكومة تستقطع من الموظف ٥ ٪ مثلا من مرتبه ثم تعطيه معاشا لنفسه فى حياته ومعاشا لأولاده وزوجته بعده إن كان له أولاد أو زوجة ، وقالوا : ما تأخذه منه الحكومة فى خصم الـ ٥ ٪ فيه تفاوت بينه وبين ما تعطيه فتارة يطول عمر الموظف بعد إحالته إلى المعاش ، فيأخذ أضعاف ما استقطع منه ، وقد يكون له بعد ذلك زوجة أو زوجات وأطفال يأخذون معاشاتهم بحسب حكم القانون ، وخاصة القول بأن الحكومة ترث المتوفى مع ورثته فى اقتسام ما كان يأخذه أو يستحقه من المعاش ، وتارة يموت الموظف ولا ورثة له فيكون كل ما استقطع منه ذهب إلى الحكومة بدون عوض ، وكان الموظفون الذين لا خلف لهم يتحرون أن لا يعاملوا بقانون المعاش ، لذلك لأن ما يخصم منهم لا يرد عليهم . فيرى هؤلاء المعترضون أن هذه معاملة بين اثنين فيها غرر أو فيها ربا صريح لأخذ أحد الطرفين من الآخر زيادة عما استحقه بغير عوض مقابل ، وكأن الحكومة مثلا أخذت ممن لم ينتفع بكل ما خصم منه مدة الخدمة وأعطتها من انتفع بأكثر مما خصم منه ، وهذه شبهة يتحدث بها كثير من المتورعين ويعترضون بها على الموظفين وخاصة من كانوا من العلماء وعلى الحكومة معا . والجواب أن ذلك ناشئ عن عدم تحرير الموضوع وعدم فهم حقيقة هذه المعاملة بين طرفيها .

وذلك أن الحكومة فى هذا كله طرف أول وكل موظف طرف ثان يتعامل مع الحكومة على أساس قوانينها فى أجور ومرتبات الحكومة للموظفين وفيما تعاملهم به فى حالة المعاش والتقاعد وتعامل به أسرهم ، فليست الحقيقة أن الموظف بمائة جنيه مثلا فى الشهر أنه استحق جميع هذا القدر وأن الحكومة أخذت منه هذا الاستقطاع دينا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عليها ثم ردته إليه فى المعاش بأقل أو بأكثر حتى يأتى التفاوت بين ما أخذ منه وما أعطى له ويقع الغرر وتقع شبهة الربا كما يتخيله المتورعون لأول وهلة .

بل إن الموظف دخل مع الحكومة على أن يخدمها بأجور هى كذا بحسب قانون المستخدمين (الكادر) ويأخذ فى المعاش كذا إن عاش بعد الخدمة أو يأخذ ورثته كذا بحسب قانون المعاشات .

فلم تكن هناك معاملة فى الذمة استقر بها حق للموظف بالاستقطاع منه أثناء الخدمة ثم يرد له فى المعاش حتى يقال إن هـذا الذى تقرر له فى ذمة الحكومة أخذه كاملا أو ناقصا أو يقال إن الحكومة أخذت من بعض الموظفين وأعطت الآخرين ، كل هذا غير صحيح ، وإذا لم يكن هناك حقوق تقررت فى الذمة بين الطرفين فليس هناك ربا من هذا النوع . فليطمئن العلماء والمتورعون لمعاملاتهم المالية ومرتباتهم الشهرية ، ومعاشاتهم أنها خالصة من الربا والغرر وشبهة الربا والغرر ما دامت للحكومة قوانين يدخل الموظف مع الحكومة على أساسها ، وحينما يختلف معها تفصل فيه المحاكم المدنية كما تفصل فى كل الحقوق .

وفى مقال تال نتكلم على صندوق التوفير وما فيه من الحكم الشرعى الذى ينطبق عليه إن شاء الله تعالى

محمد عبد السلام العبادى

حياء المعتذر

سأل رجل ابن العلاء حاجة ، فوعده بها ، ثم تعذرت عليه . فلقيه الرجل وقال له : وعدتنى وعدا فلم تنجزه !

فقال ابن العلاء : فمن أولى بالغم ، أنا أو أنت ؟ قال له الرجل : أنا .

فقال ابن العلاء : بل أنا أولى بالغم ، لأنى وعدتك ، فأبت أنت بفرح الوعد ، وأبت أنا بهم الإنجاز . ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة ، فلقيتنى مدلا ، ولقيتك محتشما ، فصرت أولى منك بالغم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دعوة الاســـــلام
ومنهجها فى الاصلاح

تمهيد وتقديم :

« الفطرة الإنسانية وصلتها بالدين والتدين »

قضت إرادة الله ومشيئته ، أن يجعل خليفة فى الأرض ، يكون مظهرا لأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، يقيم به سننه فى خلقه ، ويظهر به بديع صنعه فى ملكوته ، ويجلى به بالغ حكمته فى فعله وحكمه ، ويستودعه أمانة التكليف والابتلاء ، ويجرى عليه أحكام المسئولية والجزاء ، ذلكم الخليفة هو آدم أبو البشر ، الذى اختاره الله لهذه الخلافة الأرضية ، وعهد بها من بعده إلى أبنائه وذريته ، وقد قرر القرآن هذه الحقائق التى أشرنا اليها ، كقوله جل جلاله فى سورة البقرة « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون . ـ ٣٠ » وفى سورة الأنعام « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم . ـ ١٦٥ » وفى سورة الكهف « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . ـ ٧ » وفى سورة الذاريات « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ـ ٥٦ » وفى سورة النجم « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى . ـ : ٣٩ ـ ٤١ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما فى معناها ، تبين لنا فى وضوح وجلاء ، الحكمة التى من أجلها خلق الله الإنسان ، وجعل له فى الأرض مستقرا ومتاعا إلى حين » .

ولهذا قضت حكمة الله البالغة ، وإرادته النافذة ، أن يكون الإنسان فى تكوينه وفطرته ، متمشيا مع مقتضيات هذه الخلافة وحكمتها ، فلم يجعله سبحانه ماديا محضا ، ولا روحانيا بحتا ، بل جعله وسطا بين المادية الحيوانية المحضة ، والروحانية الملكية البحتة ، فمنحه من كل منهما حظا ونصيبا ، وأقام نظام حياته فى الدنيا ، على قوانين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإرادة والاختيار ، وأصول الفكر والنظر ، لا على نواميس القسر والإلجاء ، ودوافع الإلهام والإيحاء ، وهيأ له من السنن الكونية والمواهب الفطرية ، ما جعله مستعدا لهذه الخلافة التي اختير لها ومتمكنا من الوصول إلى الغاية التي خلق لأجلها .

ويتجلى هذا الإعداد الإلهي ، في مظاهر المواهب الإلهية الآتية :

الموهبة الأولى : أن الله جلت قدرته وعظمت نعمته ، سخر للانسان ما في الكون من عوالم الأرض والسموات ، كما قال جل جلاله في سورة لقمان ، « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ٣١ : ٢٠ » وفي سورة الجاثية « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ٤٥ : ١٣ » فهذه العوالم الكونية التي نراها والتي لا نراها ، خلقت مسخرة للانسان بنواميسها وأسرارها ، وخلق الإنسان مستعدا لتسخيرها والانتفاع بها ، بما منحه الله من مواهب العقل والفكر ، وملكات البحث والنظر ، وطرائق الهداية والرشد ، وها هو اليوم قد عرف من أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، ما جعله يجوب الآفاق ، ويحلق في الجواء ، ويسبح في أعماق المحيطات ، ويتخذ من موات الأرض مدائن وأمصارا ، ومن قفارها حدائق وزروعا ، ولا ندري ما الله فاعل به غدا ، وتبارك الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (١) .

الموهبة الثانية : أنه تعالى أودع في فطرته من الحواس والغرائز ، ما جعله مستعدا لأن يحيا حياة طيبة كريمة ، في مجتمع طيب كريم ، إذا هو استعمل هذه المواهب في المقاصد التي خلقت لأجلها ، واتجه بها إلى مواطن الخير والكمال ، وسلك في الانتفاع بها مسالك الحكمة والاعتدال ، وجعله مستعدا مع ذلك ، لأن يعيش في ظلمة الخطيئة والإثم ، وجحيم الشقاء والبؤس ، إذا هو استعملها في غير ما خلقت لأجله ، وسلك بها مسالك الشر والفساد ، وأطلق لنفسه عنان الأهواء والشهوات وافتكها من قوانين الفضائل والكمالات ؛ فالإنسان بطبيعته وفطرته ، مستعد للخير والشر على السواء ، ليتحقق بذلك مناط التكليف والابتلاء ، وأهلية المسئولية والجزاء ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في سورة الإنسان : « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، ٧٦ : ٣ »

(١) هذه الفقرة مقتبسة من آية ٥٠ من سورة طه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى سورة الشمس « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ، ٩١ : ٧ - ١٠ » وفى ذلك يقول على كرم الله وجهه ، فيما يروى عنه :

دواؤك فيك وما تشعر ودائك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذى بأحرفه يظهر المضمر

الموهبة الثالثة : أنه تعالى منحه عقلا نورانيا ، يتدبر به عواقب مايأتى وما يدع ، ويزن به مدارك الحواس ومطالب الغرائز ، ويميز به بين الحق والباطل ، ويتعرف به مواطن الخير والشر ، ويستظهر به مواقع الصواب والخطأ ، ويهتدى به إلى معالم السير على الصراط المستقيم ، ويفتح أمامه أبواب الفكر وطرائق النظر ، فيما يحيط به من عوالم الأرض والسموات ، وبهذه المنحة الإلهية والموهبة الربانية ، استطاع الإنسان فى أطواره المختلفة ، أن يسبح بعقله فى بيداء هذا الوجود ، وأن يطالع بفكره أسرار ما يحيط به من الكائنات ، وأن يتخذ له من عوالم الكون وظواهره ، مرشدا يسترشد به فى حياته ؛ ورائدا يهتدى به فى تنظيم شئونه ومعاشه ، ومعينا يستعين به فى جهاده وكفاحه ، وهو فى ذلك بين علو وهبوط ، ونهوض وسقوط ، تارة تتجلى له الحقائق ؛ وتارة تلتبس عليه الطرائق ، ومرة يدفعه الرجاء والأمل ، ومرة يقعده الإخفاق والفشل ، وطورا تسعفه الأقدار المواتية ، وطورا تعوقه العوائق القاهرة ، وهكذا كتب الله عليه فى أم الكتاب ، أن تكون حياته حياة كفاح وصراع ، يصارع الأحداث وهى تصارعه ، فأحيانا يصرعها وأحيانا تصرعه ، كان ذلك فى قضاء الله قدرا مقدورا ؛ وسيبقى كذلك حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

الموهبة الرابعة : أنه تعالى أودع فى فطرته وطبيعته ، شعورا وجدانيا بقوة غيبية قاهرة ، خلقت هذه العوالم الكونية على اختلاف أنواعها ومظاهرها ، ووضعت لها هذا النظام البديع المحكم ، ويسرت لها وسائل الحياة والبقاء ، ويتجلى هذا الشعور الفطرى فيه بأجلى مظاهره ، فى مواقف الشدائد التى لا يستطيع لها دفعا ، عند ما يجد نفسه متجها بأحاسيسه ومشاعره ، إلى صاحب هذه القوة الغيبية القاهرة ، يطلب منه الهداية فيما لا يهتدى إليه عقله وفكره ، ويستمد منه المعونة فيما تعجز عنه حيلته وقدرته ، ك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يشير إلى ذلك قول الله عز وجل فى سورة فصلت : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ، ٤١ : ٥١ » وفى سورة النحل : « وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فاليه تجأرون ، ١٦ : ٥٣ » وفى سورة الروم : « وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ، ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ، ٣٠ : ٣٣ » . فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما فى معناها ، تدل دلالة لا لبس فيها ولا خفاء ، على أن الشعور بالقوة الغيبية القاهرة ، غريزة كامنة فى أعماق النفوس ، وطبيعة منبثة فى حنايا الضلوع ، وأن الناس وإن ضلوا عن طريق الحق ، واتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويتقربون إليها ، إلا أنهم إذا أحاطت بهم الشدائد ، وتقطعت بهم الأسباب ، وضاقت عليه مسالك النجاة ، فانهم يلجأون بفطرهم ووجداناتهم ، ويتجهون بأحاسيسهم ومشاعرهم ، ويجأرون بالدعاء والاستعانة ، إلى الله ذى القوة القاهرة ، لا إلى آلهتهم ومعبوداتهم .

ومن هنا يتبين لنا فى وضوح وجلاء ، أن الاعتراف بخالق الكون أمر مركوز فى الفطره ، مهما ضلت العقول والبصائر ، وغلبت الأهواء والشهوات ، ومما يزيد هذه الحقيقة وضوحا وجلاء ، أن المشركين وهم عبدة الأصنام والأوثان ، كانوا يعترفون لله بالخالقية مع شركهم فى العبودية كما قال تعالى فى سورة الزخرف : « ولئن سألتهم من خلقهم ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ، ٤٣ : ٨٧ » . أى فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ، وفى سورة العنكبوت : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ٢٩ : ٦١ » . وكانوا يقولون فى شأن أوليائهم ومعبوداتهم ، ما حكاه القرآن عنهم فى سورة الزمر : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، ٣٩ : ٣ » .

وهذا الشعور الغريزى الذى تحدثنا عنه ، هو الدين الفطرى الذى قامت عليه تعاليم الدين التشريعى ، الذى بعث الله به النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

الموهبة الخامسة : أنه تعالى أودع فى فطرته وطبيعته ، إحساسا وجدانيا بالنقص والكمال ، والفجور والتقوى ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل فى سورة الشمس : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، ٩١ : ٧ - ٨ » .

وبهذه الموهبة الفطرية الإلهية ، قام للانسان بجانب هداية العقل والحواس ، رقيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يغفل عن مراقبته ، وحسيب لا يهمل فى محاسبته ، يراقبه فى سره وجهره ، وفى همه وعزمه ، فان وجد فيما هم به صلاحا وخيرا ، حبب إليه المضى فى إمضائه وإنفاذه ، وإن وجد فيه فسادا وشرا ، كرّه إليه الإقدام على فعله ، وبالغ فى تحذيره من سوء عاقبته ، ثم هو مع ذلك يحاسبه على كوامن أسراره وظواهر أعماله ، فان رأى فى سلوكه استقامة على الطريقة المثلى ، تتمثل فى سلامة الصدر من الأحقاد والأضغان ، وعفة اللسان عن الفحش والسباب ، والسمو بالأدب النفسى عن سفساف الأخلاق وذميم الأفعال ، والترفع بالأقوال والأعمال عن مظاهر الرياء والنفاق ، والإحسان فى المعاملة والمعاشرة والجوار ، والحرص على أداء الواجبات والحقوق ، والوفاء بالتزامات العقود والعهود ، نفث فى روعه وحيا خفيا ، يملأ جوانب نفسه بالراحة والطمأنينة ، ويفتح له آفاق الحياة الطيبة الكريمة ، وإن رأى فى سلوكه انحرافا عن الطريق المستقيم ، تتمثل مظاهره فى انطواء القلب على الحقد والحسد ، وخبث الطوية وسوء النية ، والتواء اللسان فى القول والمنطق ، وولعه بنهش الأعراض وخدش الكرامات ، وإفساد روابط الجوار والصلات ، والتحلل من قوانين الأخلاق والفضائل ، والغش فى التعاقد والتعامل ، والتدليس فى الدين والتدين ، والنفاق فى القول والعمل ، والتفريط فى الحقوق والواجبات ، والميل مع الأهواء والشهوات ، أنحى عليه باللائمة ، وصب عليه جام غضبه ، وقسا عليه فى التقريع والتأنيب ، ونغص عليه العيش وكدر صفو الحياة ، وجعل الدنيا فى وجهه أضيق من سم الخياط ، لأنه أطاع الهوى والشيطان ، وخالف وحى الفطرة والوجدان .

فهل شاقك أيها القارئ الكريم ، أن تعرف هذا الرقيب العتيد والناقد البصير ؟ إنه هو السر الإلهى الذى تعارف الناس على تسميته بالضمير .

بيد أن هذا الضمير وإن كان غريزة فى أصل الفطرة الإنسانية ، إلا أنه يختلف فى الأفراد والجماعات قوة وضعفا ، تبعا لاختلاف ما يعرض له من العوامل التى تنميه أو تضعفه ، فقد يعرض له من صلاح البيئة وكمال التربية ، ما يبلغ به من القوة والسيطرة على صاحبه إلى حد التحرج عن الإقدام على أى قول أو عمل ، يكون فيه خدش للكرامة والشرف ، أو انتقاص للعزة النفسية والخلق الكريم ، فاذا ما زلت بصاحبه القدم ، أو نبا به اللسان ، أخذ منه الندم كل مأخذ ، وذهبت به الملامة كل مذهب ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأولئك هم أصحاب الضمائر الحية ، الذين بهم تستقيم الأمور ، وبهم تجتمع القلوب على الألفة والمحبة ، وبهم تسعد الشعوب وتسود الأمم ، وقد يعرض له من فساد البيئة وسوء التربية ، ما يبلغ به من الضعف وفقدان السيطرة على صاحبه ، إلى حد عدم الإحساس بالعزة والكرامة ، والقيم الخلقية والآداب النفسية ، فلا يتأثم صاحبه من ارتكاب المآثم والجرائم ، والخروج على قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ولا يرى فى ذلك سقوطا يوجب له المهانة والاحتقار ، ويسجل عليه العار والشنار ، وأولئك هم الذين ماتت ضمائرهم ، وفسدت فطرهم ، وذهبت أصول الخير من نفوسهم ، وأولئك هم آفة المجتمع فى كل زمان ومكان .

هذه هى أصول المقومات التى قامت عليها فطرة الإنسان ، والتى جعلته مستعدا لخلافة الأرض وعمارتها ، وبهذه الفطرة الجامعة بين الروح وأسرارها ، والمادة وخواصها ولوازمها ، اشتملت طبيعة الإنسان على عنصرين متباينين فى الماهية والخواص : أحدهما عنصر مادى ، يخضع لقوانين المادة وخواصها ، وثانيهما عنصر روحى ، يسمو بروحانيته فوق قوانين المادة ونواميسها ، ومن هنا نشأت معركة الصراع بين الروح والمادة ، وتجلت مشاهدها فى سير الإنسان وسلوكه ، فقد قامت بين العنصرين حرب لا تضع أو زارها ، وملحمة لا ينتهى صراعها ، كل يريد أن يجتذب الإنسان فى حياته وسلوكه ، إلى مقتضياته ومطالبه ، فالعنصر المادى يريد أن ينزل به إلى حضيض المادية ونقائصها ، والعنصر الروحى ، يريد أن يرتفع به إلى أفق الروحانية وكمالاتها ، غير أن الله جلت قدرته وعظمت حكمته ، لم يتركه أمام هذا الصراع العنيف بدون مدد غيبى ، به يكون انتصار أحد العنصرين على الآخر ، بل فتح له باب الإمداد الغيبى الإلهى ، وأجراه على سنة حكيمة عادلة ، تقوم على مقتضى توجيه الإنسان لميوله وغرائزه وهذه السنة الإلهية هى أن « الإمداد على قدر الاستعداد » .

وتوضيح هذه السنة وتأويلها : هو إن الإنسان إذا ما أعد نفسه لمدد الإضلال والخذلان ، بأن وجه ميوله وغرائزه إلى مسالك الشر والفساد وآثر داعى الهوى والشيطان على وحى الفطرة والوجدان ، أمده الله بمدد الإضلال والخذلان ، وإذا ما أعد نفسه لمدد الهداية والتوفيق ، بأن وجه أميال وغرائزه ، إلى طريق الخير والرشاد ، وآثر هداية الوجدان والفطرة ، على طغيان الهوى والشهوة ، أمده الله بمدد الهداية والتوفيق ، والمعونة والتأييد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبهذا المدد الإلهى الغيبى ، يكون الغلب لأحد العنصرين على الآخر ، ويتقرر مصير المعركة القائمة بين الروح والمادة ، وقد قرر القرآن هذه السنة فى مواطن كثيرة ، كما ترى ذلك فى الآيات الآتية : « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ، ٨ : ٢٣ » ، « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ٢ : ١٠ » ، « ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ، ٢ : ١٥ » ، « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، ٦١ : ٥ » ، « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، ٤٣ : ٣٦ » ، « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ، ٤٧ : ١٧ » ، « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، ٩٢ : ٥ - ١٠ » .

فهذه الآيات القرآنية وغيرها ، جاء فيها ترتيب الإمداد الإلهى بالهداية أو الإضلال على مقتضى ما يكون من اتجاهات الإنسان بأميال ونياته ، إلى طريق الخير والكمال ، أو مسالك الشر والفساد ، وهى صريحة فى تقرير هذه السنة الإلهية الحكيمة ، وهى سنة الإمداد على قدر الاستعداد .

أما الحقائق التى تستخلص من هذه الفطرة الإنسانية ، والتى توضح صلتها بالدين والتدين ، فهى موضوع الحديث التالى إن شاء الله .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

الاتحاد المصرى السورى

فى الخطاب الذى افتتح به الرئيس جمال عبد الناصر مجلس الأمة إشارة للعلاقات بين مصر وسوريا ، وتحية كريمة للجارة الشقيقة التى وقفت مع مصر فى أحلك الأوقات ، وناصرت قضية التحرير العربى أقوى ما تكون المناصرة ، وتحملت - وهى الدولة الصغيرة العربية - كل تضحية فى سبيل تحقيق الخير العربى المشترك ، وإشارة أيضا إلى الاتحاد بين البلدين والرغبة الشاملة فى إخراجه إلى حيز التنفيذ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حصوننا مهددة من داخلها

— ١ —

يظن بعض الناس أن الدول القوية هى التى تملك عددا ضخما من عدد القتال وآلاته ، وتنتج مقادير هائلة من الصناعات التى تغمر أسواق العالم ، وحقيقة الأمر أن هذه الدول لا تتاح لها القوة حتى يكون من وراء كل هـذه العدة الهائلة وذلك الإنتاج الضخم خلق متين يجمع أهلها ويشد بعضهم إلى بعض ، ويعطف كل واحد منهم على أخيه ، ويمنع عناصر الفساد وأسباب الفرقة والخـلاف أن تتسرب إلى صفوفهم وتنخر عظامهم . إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمـال ، ولـكنها تسود وتعلو بالخلق المتماسك ، وأعنى مصادر الخلق المتماسك وأعمقها جذورا وأدومها أثرا هو الدين . فهو الذى يجمع الناس على التواد والتراحم ، ويقيهم ما طبعت عليه النفس البشرية من الشح ، ويكف بعضهم عن بعض ، وهـذه هى دول الغرب ، يستطيع كل ذى بصر أن يرى — كما رأى المؤرخ الإنجليزى توينبى من قبل ، منذ الحرب العالمية الأولى — مظاهر تدهورها وانحلالها وهى فى كامل مجدها الصناعى والآلى ، لم يعوزها المـال ولم تنقصها الآلات ولا المعارف الفنية ولا العلوم العقلية ، ولـكن أعوزها الخلق والدين ، فسرى الفساد فى جسدها ودب الخلاف فى صفوفها . إن مظهر هذه الدول الضخم قد يخدع كثيرا من الناس فيظنون أن نهايتها بعيدة ، والحقيقة أن الدول الـكبيرة لا تضمر ولا تذوى ولا تنكمش ، ولـكنها تنهار كما ينهار عمود الخشب الضخم الذى نخر السوس لبه . كذلك انتهت كل الدول الـكبرى من قبل ، فى أثينا وفى روما وفى بغداد وفى الأندلس وفى الأستانة . انتهت حين كانت ضخامتها ومظاهر الترف فيها تخدع الناظر عن السوس الذى ينخر عظامها .

وما ينبغى لنـا أن نغفل عن هـذا الدرس المـاثل أمام أعيننا إن غفلنا عمـا حفظه التاريخ من دروس ومن عظات . يجب أن نعرف معرفة اليقين أن التقدم الصناعى لا يغنى عنا شيئا إذا دب فينا دبيب الخلاف ، فتفرقت بنا السبل وتوزعتنا الأهـواء والآراء ، ومزقتنا الدعوات المتنافرة التى ينقض بعضها بعضا . والدين واللغة هما أهم دواعى الألفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتماسك فى كل مجتمع إنسانى . فالدين هو الذى يوحد العادات والأمزجة ، فيجتمع الناس فيما يحبون وفيما يكرهون ، وفيما يألفون وفيما يعافون ، وفيما يستحسنونه وفيما ينفرون منه ، على ألوان معينة من غذاء الأبدان والنفوس . واللغة هى الوعاء الذى يشتمل على ذلك كله ، وهى أداة التفاهم التى لا يتم بدونها تواصل . ثم إنها بعد ذلك تجمع أمزجة الناس وأذواقهم على ألوان معينة من الأساليب البيانية فى الجمال الفنى . لذلك كانت المعاهد والمؤسسات التى تقوم على صيانة الدين واللغة هى بمثابة الحصون والمعاقل التى تسهر على حمايتنا وسلامتنا ، وكانت العناية بأمرها خليقة أن تنال من اهتمامنا مثلما تناله العناية بإعداد العدة الحربية والصناعية بل أشد . وشر ما يطرأ على هذه المعاقل من الوهن أن تؤتى من بعض الذين قد وكل إليهم حمايتها والدفاع عنها حين يخونون الأمانة ، فيتسللون متلصصين إلى الأبواب يفتحونها للأعداء المهاجمين بليل ، والحماة الساهرون فى غفلة لا يشعرون . من أجل ذلك سوف أتناول فى هذه السلسلة بعض معاقل الدين واللغة ، منبها إلى ما طرأ عليها من انحراف بعض حراسها .

ولا شك أن وزارات التربية والتعليم هى أهم هذه المعاقل والحصون الساهرة على أمن الشعوب وكيانها ، لأنها هى المؤتمنة على أثمن ما تملكه الأمة من كنوز ، وهى الثروة البشرية بما تنطوى عليه من قوى مادية ومن ملكات عقلية وخلقية ، ممثلة فى رجال الغد الذين تشرف على تربيتهم ، وهى ثروة تتضاءل إلى جانبها كل كنوز الأرض لأن كنوز الأرض لا تساوى شيئا بدونها . فالعقل هو الذى يستخرجها من مكامنها ويحيلها من مادة صماء جامدة إلى قوة حية منتجة ، والخلق الدينى هو الذى يدفع الناس إلى إعمال هذا العقل وإلى بذل الجهد فيما وكل إليهم من أمور ، أداء للأمانة ، وابتغاء للعزة والسيادة وإعلاء الحق .

وقد أصبحت مطامع أمريكا فى هذه المنطقة وعداوتها لحماتها الذين يتصدون لحراستها ويتزعمون نهضتها مشهورة لا تخفى ولا تحتاج إلى تنبيه . فاتصال القائمين على شئون التربية والتعليم فى هذه الأمة العربية بالمؤسسات الأمريكية ، والتعاون معها فى ترويج مبادئ وأساليب يقال إن المقصود بها هو رفع مستوى التعليم وإصلاح شئون الجيل الجديد ، أمر لا يصدقه العقل ولا يتفق مع ما يبذلون من محاولات ظاهرة وخفية لابتلاع هذه الأمة والكيد لها . فالذين يشتركون فى المؤتمرات الأمريكية ، والذين يتعاونون مع دور النشر الأمريكية ، وكلها يمول من مصادر مريبة ، يسخرون من عقولنا ، ويخادعون أنفسهم إن زعموا أنهم يخدمون أمتهم بالاشتراك فى هذه المؤسسات ، لأن الأموال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأمريكية التي تنفق بسخاء يبلغ حد السفه على هذه المؤتمرات وعلى هذه الدور لا يمكن أن تستهدف خير هذه الأمة ونفع أهلها .

وقد وقع بين يدي في هذه الأيام كتاب أصدرته الجامعة الأمريكية ببيروت في العام الماضي (يوليو ١٩٥٦) ، يحتوي على محاضرات في نظم التربية ، هي سجل لما دار في مؤتمر دعت إليه هذه الجامعة ، واشترك فيه جماعة من كبار المسئولين عن التربية في مصر وفي سوريا والعراق والأردن ولبنان . وقد مثلت ثلاثة من هذه البلاد في ذلك المؤتمر الأمريكي بثلاثة وزراء سابقين للتربية والتعليم . فمثلت مصر باسماعيل القباني ، ومثلت العراق بعبد الحميد كاظم ، ومثلت الأردن بأحمد طوقان ، والأخيران من تلاميذ الجامعة الأمريكية الداعية لعقد هذا المؤتمر ، وقد كان العضو الأردني يشغل عند عقد هذا المؤتمر منصب مستشار لشئون اللاجئين الفلسطينيين في منظمة الإغاثة الدولية . أما البلدان الباقيان — سوريا ولبنان — فقد مثلهما رجلان من كبار المسئولين عن التعليم وهما جميل صليبا عميد كلية التربية في الجامعة السورية ، ونجيب صدقة المدير العام لوزارة التربية الوطنية والفنون في لبنان . وقد اشترك مع إسماعيل القباني في هذا المؤتمر عضو مصري آخر هو حامد عمار الأستاذ في معهد التربية العالي بجامعة عين شمس ورئيس قسم التدريب في المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي بسرس الليان .

وهذا المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي لا عمل له إلا (سلخ) الريف العربي من دينه وخلقه وعروبته ، و (طبعه) بالطابع الأمريكي . وهو يتولى هذه المهمة إتماما لما بذله الغرب من جهود في فرنجة هذه المنطقة ، بعد أن تبين المستشرقون الذين يحتون في شئون هذا الشرق الإسلامي والعربي أن تأثير الفرنجة أو ما يسمونه Westernisation لم يتجاوز المدن ، لأن كل الوسائل والأساليب التي يستخدمها الغربيون في هذا الصدد من صحافة ودعاية ومؤسسات علمية أو اجتماعية وسينما وشراء للأقلام وللذمم وللرجال إلى آخر ما هنالك ، كل ذلك لا يصل إلى الريف ، ولا يتجاوز حدود المدن . فما الذي صنعته أمريكا لتلافي هذا النقص ، والاحتيال لدخول الريف الذي عجز التبشير وعجزت الأساليب الاستعمارية العتيقة عن اقتحامه إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ؟ اخترعت أمريكا تحت ستار (الدولية) وعن طريق (الأمم المتحدة) شيئا اسمه « التربية الأساسية » . وما هي التربية الأساسية ؟ يقول الدكتور حامد عمار في بحثه الذي ألقاه في هذا المؤتمر الأمريكي : « التربية الأساسية منهج من مناهج الإصلاح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاجتماعى لرفع مستوى المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية و (تغيير الأفكار والنزعات) إلى جانب تغيير الأوضاع المادية ـ ص ٩٢ محاضرات فى نظم التربية » . ويقول فى موضع آخر : « تسعى التربية الأساسية إلى محاولة تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات ، كما تسعى إلى تغيير فى الأوضاع المادية فى الدائرة التى تلتزمها ، ويؤمن دعاة التربية الأساسية أن كل عمل أو مشروع مادى لابد أن يسبقه ويصاحبه ويتبعه تغيير فى تفكير الناس ، وفى الاتجاهات الفكرية والنفسية ، حتى يمكن أن يكون العمل منتجا إنتاجا كاملا ـ ص ٨٥ » .

وواضح أن (تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات) الذى أشار إليه الباحث يقوم على أسس غربية خالصة ، تروج باسم العلم ـ علم مزعوم لا يستقر له قرار ولا يقطع فى ظاهرة برأى يتفق عليه أصحاب الرأى ، يسمونه « علم النفس » ـ وواضح أيضا أن هذا (التغيير) ـ تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات ـ لا يبالى أن يخالف الإسلام وتعاليمه فى الريف المسلم ، لأن القائم على هذا (التغيير) ليس هو مشيخة الأزهر ، ولكن القائم عليه هم مجموعة من (الخواجات) يختفون خلف الشخوص العربية التى تبدو للناظر وكأنها تتحرك بارادتها ، وواقع الأمر أن لا إرادة لها ، وأنها تسير فى خطوط مرسومة ، وحسب خطط مدبرة قدرها ناس أقل ما يوصفون به أنهم لا يبالون بالإسلام وتعاليمه إن لم يكونوا معادين لها يعملون على محوها واستئصالها من نفوس الناس ، ولهم فى ذلك أساليب خبيثة يتسللون عن طريقها إلى قلوب أهل الريف السذج الغافلين . وسوف لا أصف لك أنا هذه الأساليب ، ولكنى سأدع العضو المصرى المحترم فى هذا المؤتمر الأمريكى يقدم لك صورا منها بألفاظه كما جاءت فى الكتاب الذى بين يدى .

فأول مراحل العمل فى الريف هى « مرحلة التعرف » ، (وهدفها أن يحس العامل الاجتماعى طريقه فى القرية بصورة عامة وأن يألفه الناس ويألفهم ... ومن المستحسن أن تكون هذه المرحلة من العمل مرحلة فيها شىء من الاسترخاء وأخذ الأمور بمأخذ غير محدد ، إذ أن هذا الهدوء والاسترخاء ضروريان لتأسيس العلاقات الاجتماعية وتنميتها وبخاصة إذا تذكرنا أن الفلاح سريعا ما تأخذه الريبة ويتولاه الشك إذا تبين إلحاحا من غريب عليه فى أمر من الأمور ... ثم إنه لا بد من التعرف على قادة القرية الطبيعيين الذين يعتبرون عناصر فعالة فى تكوين الرأى العام والتأثير فيه ... وليس من المهم أن يكون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هؤلاء القادة من النوع الذى يرغب فيه المصلح ، لكنه لا بد من الاعتراف بهم و (استغلالهم) .

وإذا كان التعرف يتطلب الاتصال والزيارة ومبادلة الحديث فان هذا شرط لازم ، وليس بكاف فى كثير من الأحيان ، وربما كان القيام بعمل إنشائى سريع من أنجع الوسائل لكسب الثقة وتأسيس علاقة طيبة مع الأهلين ... وقد تبين بالتجربة أن دق طلمبة مياه بالقرية ، أو إصلاح خزان المياه بالجامع ، أو مقاومة الآفات الحشرية فى الزراعة ، كان من أقوى العوامل التى وثقت الصلة بين أهل القرية وبين المشرفين على مختلف جوانب الخدمة الاجتماعية فيها . وأذكر أن زجاجات قطرة العيون كانت من أهم الوسائل التى اكتسبت بها آنسات المركز الدولى للتربية الأساسية ثقة نساء القرية [١]. ص ٩٨ إلى ١٠٠) .

ويتكلم الدكتور حامد عمار بعد ذلك عن المرحلة الثانية وهى « مرحلة الدراسة والبحث » التى « يقوم فيها المشتغل بميدان التربية الأساسية أو الخدمة الاجتماعية بجمع المعلومات والبيانات اللازمة جمعا منظما بحيث تكون معرفته لظروف القرية معرفة لا تقوم على مجرد الإحساس ، بل على الاستقصاء للحقائق وتنظيمها ، حتى يستعين بها فى رسم خطته وتنفيذ برنامجه . . . ومن البحوث المفيدة أيضا تشكيل مختلف العادات والطقوس التقليدية التى تشكل حياة الريفيين وتعالج كثيرا من نواحى نشاطهم . . . ومن الأمور العملية المفيدة فى هذه البحوث الكيفية الاحتفاظ بمذكرات أو يوميات يسجل فيها الباحث ملاحظاته ومجريات الحوادث وظروف العمل أثناء إقامته فى الريف ، ولاشك أن مثل هذه المذكرات هى المادة الخام التى تستطيع أن تعتمد عليها فى فهم ظروف الحياة الريفية فهما دينا ميكيا يتميز بغنى الواقع وتفاصيل الحياة اليومية » (ص ١٠٠ إلى ١٠١)

من الذى يشرف على إدارة هذا الجهاز ، وعلى جمع كل هذه المعلومات والدقائق ؟ هيئة أجنبية ، وليكن اسمها ما يكون . لتكن هى «التربية الأساسية» أو «النقطة الرابعة» أو ما شئت من هذه العناوين المختلفة . هل هناك وسيلة للجاسوسية أضمن وأرخص وآمن

---

[١] ألا ترى وجه الشبه بين أساليب آنسات المركز الدولى وبين أساليب المبشرين ؟ !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من هذه ؟ تجمع الهيئة وسماسرتها ، الخبيث منهم والمغفل ، ما شاءت من المعلومات فى هدوء واطمئنان ، دون أن يثير عملها ريبة أحد . بل إنها تلقى المساعدة الكاملة من الجهاز الحكومى ، وتيسر لها سبل توثيق الصلات بالناس ، وتترك لها الفرص لتعمل فى بطء وفى مهل وفى غير عجلة . فهم جواسيس فى ثياب أطباء ، يؤتمنون على كل أسرار المريض الذى لا يخفى منها شيئا طلبا للشفاء ؛ فاذا هذه الأسرار تستغل فى الغدر به ، و إذا هى تدرس لاختيار أفعل الوسائل لقتله وأمثل السبل لامتصاص ما بقى فى عروقه من دم .

أتريد بعد ذلك أن أحدثك عن هدف آخر مهم من أهداف هذه المؤسسات الأجنبية المريبة ؟ إن هذه المؤسسات تريد إفساد المرأة الريفية وفرنجتها . إنها تقوم باستئصال (حياء) المرأة الريفية المسلمة فى النهار المبصر ، وعلى مسمع من كل ذى أذنين . هل تريد دليلا على ذلك ؟ إذن فاقرأ بحث الدكتور هارولد ألن مدير التعريبة بمؤسسة الشرق الأولى الذى ألقاه فى مؤتمر أمريكى آخر تحدثت عنه من قبل وهو مؤتمر (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة (١)) ، وقد تولت نشره مؤسسة فرانكلين الأمريكية . راجع فى هذا الكتاب مقال الدكتور ألن عن (العامل الريفى فى الحضارة الإسلامية ـ ص ٢٦١ إلى ٢٨٨) . وسوف تتبين بعد قراءته أن الأساليب التى وصفها هذا الأمريكى مما اتبع فى سوريا هى الأساليب نفسها التى وصفها الدكتور حامد عمار مما اتبع فى مصر . وهذا الأسلوب الواحد الذى يذكرنا بأساليب الجواسيس والمبشرين يؤكد ما أسلفته من أن هذه الشخوص التى تبدو للناظر وكأنها تتحرك بارادتها لا تتحرك إلا حسب خطة واحدة قدرها الذين فضلوا أن يجذبوا الخيوط من خلف ستار . ولنقف قليلا عند صفحتى ٢٦٧ ، ٢٦٨ من هذا المقال ؛ حيث يقدم الكاتب صورة من بعوث أمريكا ـ أو البعوث الدولية إن شئت ـ التى تتغلغل إلى صميم البيئات الإسلامية فى الريف باسم الخدمات الاقتصادية أو الخدمات الفنية ، وسوف تدرك بسهولة أن الهدف الكبير لهذه المؤسسات ـ إلى جانب ما تنتفع به من معلومات تفيد الجاسوسية السياسية والحربية ـ هو (أمركة الريف) ، والاهتمام فيه بالمرأة خاصة و بتوجيه الحركة النسوية . سترى فى هذا المقال أن هذه المؤسسة تختار موظفيها الذين يتعاملون مباشرة مع القرويين من الوطنيين ليكونوا أقرب إلى قلوب الناس . وسيروى لك الكاتب ما حدث فى (قبر الست) وهى إحدى قرى

---

(١) انظر جزءى شعبان ورمضان من مجلة الأزهر ص ٧٣٩ ـ ٧٤٥ و ٨١٥ ـ ٨٢٠ من سنتها الماضية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سوريا . ذهب مبعوث المؤسسة الدولية ـ أو الأمريكية إن شئت ـ وهو شاب عربي اسمه « فؤاد فرج » إلى القرية ليعيش فيها ، واستطاع أن يقيم فى حجرة من الحجرات المخصصة لإقامة زوار ضريح الست (والمقصود بها هى السيدة زينب رضى الله عنها حفيدة النبي صلى الله عليه وسلم)، وأخذ يتلمس طريقة لممارسة نشاطه بعد أن وثق به أهل المنطقة واطمأنوا إليه ، فنجح فى إدخال بعض التحسينات الزراعية ، وقدم ألوانا مختلفة من الخدمات الصحية بمعاونة السكان وتنظيمهم . رش المدينة كلها بمسحوق د . د . ت للقضاء على الذباب والبعوض ، وجفف الشوارع ، وأنشأ ناديا للشبان، كما أنشأ دراسات مسائية فى القراءة والكتابة للبالغين من الأميين ، وكون جمعيه تعاونية وبعد أن سرد الدكتور هارولد ألن ضروب النشاط التى قامت بها هذه المؤسسة الأجنبية ختم وصفه لهذه التجربة بالسطور التالية ، التى تدل على الهدف الحقيقى لهذه البعثات . قال : « وفى السنة الماضية بدأ الرجال الذين يعيشون فى محيط هذا الرائد ـ بعد أن تحسن اقتصادهم وصحتهم تحسنا كبيرا نتيجة لجهوده العلمية ـ يفكرون فى حاجات نسائهم ، وهذا هو ما ظل فؤاد فرج ينتظره زمانا . وقد أحيل الاقتراح إلى قسم رعاية المنزل بالمؤسسة المسئولة عن هذا العمل . فأعد برنامجا للنساء والأطفال يدار من مكاتب قدمتها القرية بلا إيجار [١] » . ثم يعقب على ذلك بقوله : « إن المشروع الذى وصفناه هو جزء من تجربة تشمل اثنين وستين قرية ، يبلغ مجموع سكانها ستة وعشرين ألفا . وهو مثال لعشرات غيره من الجهود الفعالة المماثلة التى يمكن القيام بها ـ ص ٢٦٨ » .

---

[١] من القواعد الأساسية فى مؤسسة [التربية الأساسية] حسب ما جاء فى ص ٨٨ من الكتاب الذى نتكلم عنه فى هذا المقال « محاضرات فى نظم التربية » . [مساهمة الناس بالجهد أو بالمال أو فى الفكرة أو فى التنفيذ فى أى عمل من الأعمال . ولا شك أن هذا يدعوهم إلى الشعور بأن هذا العمل أو المشروع جزء منهم وأنهم أصحاب حق فيه . وهو ما يحفزهم إلى رعايته واستغلاله والاهتمام به] . ويذكرنا هذا الأسلوب بأسلوب الجاسوس الانجليزى المشهور لورانس حيث يصفه فى كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » فيقول إنه كان يعيش بين العرب كأنه واحد منهم . ولم يزل يمعن فى تقليدهم حتى أحسوا أنه واحد منهم . وعند ذلك وجدوا أنفسهم منساقين إلى مجاملته وتقليده . فهو لم يفعل ـ كما يقول ـ شيئا بنفسه . وليس هناك عمل يمكن أن ينسب صراحة إليه ، إلا أن يكون من تأثيره فى أفكار غيره وتحويلها إلى أغراضه . على أن العرب ـ كما يقول ـ كانوا يبدون فى كل تصرفاتهم أحرارا يتأثرون بالقدوة الصامتة إيجابا وسلبا حسبما يحلو لهم [ص ٢٩ من النسخة الانجليزية طبعة اكسفورد سنة ١٩٤٣] .

والآن بعد أن طال الحديث عن المركز الدولى للتربية الأساسية أنتقل إلى مقالات الأعضاء الذين تحدثوا عن شئون التربية والتعليم فى البلاد العربية ، وهى الأساس فى عقد هذا المؤتمر . والهدف من هذه البحوث التى دعى أصحابها لإلقائها لا يخرج عن الهدفين السابقين اللذين أشرت إليهما من قبل : الجاسوسية ، والسيطرة على توجيه المجتمع . ففى مثل هذه المؤتمرات يتيسر استقاء معلومات دقيقة من مصادر موثوق بها ، كما يمكن معرفة الاتجاهات الفكرية لقادة الرأى والمسئولين فى هذه البلاد . وهذه المؤتمرات ـ مثل المؤسسات الأمريكية والدولية التى أشرت إليها من قبل ـ هى أضمن الوسائل وأرخصها وأوثقها لجمع المعلومات الصحيحة الدقيقة التى تخدم الذين يرسمون الخطط السياسية والحربية لهذه المنطقة . ثم إن هذه المؤتمرات هى ـ من ناحية أخرى ـ وسيلة للاتصال القريب المباشر بالمسئولين ، يعجمون عودهم ، ويدرسونهم عن قرب ، ويختبرون مدى مناعتهم ومدى استعدادهم للتجاوب مع الأهداف الخفية للسياسة الاستعمارية ، كما يختبرون مواطن القوة ومواطن الضعف فى كل واحد منهم لمعرفة أنجح الوسائل للاتصال بهم والتأثير عليهم . هذا إلى أن الكلام الذى يلقى فى مثل هذه المؤتمرات ـ وهو مجامل لا شك لوجهة نظر الداعى إلى المؤتمر ـ لا بد أن يلقى صدى فى نفوس كثير من هؤلاء المسئولين من المدعوين .

أما خدمة هذا المؤتمر لأغراض الجاسوسية الأمريكية التى ترسم الخطط السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة ، فهى واضحة فى كلمة الدكتور عبد الحميد كاظم وزير معارف العراق السابق ، التى ألقاها فى هذا المؤتمر ، حيث أشار إلى ما طلب منه إعداده حين وجهت إليه الدعوة ، فقال : « إن خطاب الزميل الدكتور حبيب كورانى يشير إلى الرغبة فى أن أتكلم عن تطور التربية فى المملكة العراقية خلال السنوات العشر الأخيرة [١] ، مشيرا إلى أهم الاتجاهات الحديثة من حيث : التنظيم ، والمنهج ، وإعداد

---

[١] السنوات العشر الاخيرة هى السنوات التى تبدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية . وهى الفترة التى اتسمت بتدخل أمريكا فى شئون هذه المنطقة . فأصحاب هذا المؤتمر يريدون الاطمئنان على مدى نجاح خططهم فى خلال هذه السنوات العشر . والواقع أن أمريكا قد حققت بدولارانها خلال هذه المدة ما لم تستطع الدبلوماسية الانجليزية والدبلوماسية الفرنسية ومؤامرات التبشير الظاهرة والخفية مجتمعة أن تحققه فى قرن كامل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المدرسين ، والتفتيش ، والامتحان ، وكذلك المشكلات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، التي تجابه التعليم في العراق ، مع بعض الحلول التي اتخذت أو يجب أن تتخذ لمعالجتها ، على أن تأتي هذه في محاضرتين . هذا هو المطلوب مني حسبما جاء في الدعوة الموجهة إلي » ـ (ص ١٧٧ إلى ١٧٨) .

والذي يراجع ما ألقي في هذا المؤتمر من بحوث يتبين دقة المدعوين في التزام الوفاء بما طلب إليهم التحدث فيه على أكمل ما يطلبه الأمريكيون ويريدونه . فبحوثهم مدعمة بجداول إحصائية لا حصر لها في كل جانب من جوانب التعليم ، مما يقدم صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلادهم ، إلى جانب النظم التعليمية . والواقع أن أعضاء المؤتمر لم يقدموا هذه الجداول الإحصائية تبرعا من عند أنفسهم ، ولكنهم قدموها استجابة لطلب الذين دعوا إلى هذا المؤتمر ونظموه . فالدكتور حبيب أمين كورانى رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت ـ وهو الذي وجه الدعوة لهذا المؤتمر ـ يقول في تقديم الكتاب الذي ضم ما ألقي فيه من بحوث : « ... فدعونا لذلك نخبة من قادة الفكر وكبار رجال التربية في مختلف الأقطار العربية للمساهمة في هذه الدراسة ، وذلك بتقديم محاضرات تتناول أهم الأبحاث الحديثة في التربية في أقطارهم من حيث الأسس الفلسفية والاجتماعية والنفسية التي ترتكز عليها التربية ، ومن حيث التنظيم والمنهج وإعداد المعلمين والتفتيش والامتحان بالاستناد إلى بعض الإحصائيات التربوية الهامة ويتناول أيضا عرض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تجابه التعليم ، مع بعض الحلول التي اتخذت والتي يجب أن تتخذ » .

أما الهدف التوجيهي من هذا المؤتمر فهو واضح في هذه المقدمة أيضا وفي سائر البحوث . يقول رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت في مقدمته « لقد بدأ قادة التربية في البلدان العربية يحسون بالحاجة إلى تربية فعالة كوسيلة لمعالجة الوضع الخطير الذي أحدثته عوامل التطور في هذه البلدان » . ثم يقول بعد أن يعرض هذه العوامل باختصار : « فنتج عن هذه تبديلات عديدة هي تبديلات جوهرية لا يمكن أن تحدث في مجتمع ما دون أن تحدث فيه تضاربا بالأفكار والمثل والقيم ، ودون أن تتطلب تعديلا في مفاهيم ذلك المجتمع وآرائه ومعتقداته وطرق تنظيم معيشته . لذلك نجد أنفسنا في هذا الوضع مرغمين على إعادة النظر في مؤسساتنا التي تكونت ضمن الوضع القديم ، وفي المبادئ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والافتراضات والأهداف التى بنيت عليها تلك المؤسسات وتعديلها على نور الوضع العلمى والحضارى الحديث ، والوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى القائم فى مختلف مجتمعاتنا ، كى نتمكن من إعادة بناء حياتنا على أساس مبادئ وآراء ومثل بناءة منسجمة تتماشى مع الحضارة الإنسانية الراقية (١) ، وتمكننا من المساهمة الفعلية فى تقدم ركب المدنية البشرية ورقيه » .

ولست أريد بعد ذلك أن أقدم صورا مما ألق فى هذا المؤتمر من بحوث ، فقد يطول بى الحديث إن أخذت فيه . هذا إلى أنه حديث بغيض يملأ النفس مرارة وضيقا بالواقع الراهن للتعليم فى هذه البلاد ، بما فيه من كلام كثير عن فضل أمريكا فى إنشاء مؤسسات التعليم المختلفة ومعاهده المتباينة فى شرق الأردن وفى لبنان خاصة ، وبما فيه من استخفاف بآدابنا وموارثنا يلبس فى أوهام المتكلمين ثوب العلم . وكأن أحلام ما يسمونه علم النفس ودعاواه المتغيرة المتناقضة التى لا تكاد تستقر قد أصبحت شيئا مقطوعا بصحته . فباسمه يدعو المخدوعون إلى (تحطيم) ما توارثناه فى آدابنا من توقير الصغير للكبير ، غير مكتفين بما حاق بنظم التعليم وخلق المتعلمين من خسران بعد أن فسدت صلات التلاميذ بمدرسيهم نتيجة للتقليد الأعمى وللنقل الجهول . وباسمه يتخطون أوامر ديننا ويتجاهلون آدابه الصالحة الرشيدة حين يدعون إلى خلط الذكور بالإناث ، وإلى إخراج المرأة للأسواق وامتهانها بين الرجال ، مما يعرضها ويعرض المجتمع الإنسانى كله للفساد والانحلال ثم الانهيار ، ومما يحقق أحلام الداعين لهذا المؤتمر فى هجر تعاليم ديننا والتمرد على الصالح من تقاليدنا اقتداء بالخلق الأمريكى المنحل ، وسيرا فى أعقاب تجاريب أثبت الواقع فشلها فى حل مشاكل الناس فى مواطنها الأصيلة التى ننقل عنها ؛ بل لقد عقدت مشاكلهم وزادتها كما تدل عليه جداولهم الإحصائية التى أثبتت اطراد الزيادة فى النسب المئوية للانحراف وللشذوذ وللجرائم على اختلاف ألوانها ، وكما يصوره الواقع الملموس من انحلال أخلاق شبابهم ، واستهلاكهم قواهم وملكاتهم فى العكوف على الشهوات ، وضعفهم عن حمل الأمانات والنهوض بالواجبات .

لا أريد أن أخوض فى تفاصيل ما ألقاه المؤتمرون فى هذا المؤتمر لأقدم صورا دقيقة

---

[١] لست أدرى ما هو مفهوم « الرقى » و « الحضارة الانسانية الراقية » فى وهم صاحب هذا الكلام . هل هو كل ماجاء من الغرب المنحل وكل ما أخرجته فنون الجنون الامريكى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مؤلمة مما ألقى فيه من بحوث ، ولكنى لا أستطيع أن أختم الكلام عنه دون الإشارة إلى أن هؤلاء المدعوين الكبار من الوزراء ومن فى مستواهم قد ظلوا فى ضيافة المؤتمر أربعة شهور كاملة ، بدأت بمحاضرة العضو اللبنانى الأولى فى نادى وست هول بالجامعة الأمريكية فى ٢٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٥٥ وانتهت بمحاضرة العضو العراقى فى ٢٦ أيار (مايو) ١٩٥٥ . وسيعجب القارئ للسخاء الذى أنفقت به الأموال على هذا المؤتمر وأمثاله . ولست أدرى أيزول عجبه أم يزداد حين يعلم أن مؤسسة روكفلر هى التى قامت بكل النفقات ، ولكى يطمئن القارئ إلى صدق ما أقوله أنقل له السطرين الأخيرين من مقدمة حبيب كورانى رئيس دائرة التربية فى الجامعة الأمريكية ببيروت حيث يقول : « إننا مدينون بالشكر أيضا إلى مؤسسة روكفلر (Rockfeller Brothers' Fund) التى قدمت جميع نفقات هذا المشروع » . ولقد كان يكفى أن أقول منذ البداية : إن الجامعة الأمريكية فى بيروت هى التى دعت إلى هذا المؤتمر ، وإن جلساته عقدت فى مقرها ، وإن مؤسسة روكفلر هى التى تكفلت بكل نفقاته ، لكى يغنينى ذلك عن كل تفصيل .

دكتور محمد محمد حسين
الأستاذ بجامعة الإسكندرية

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فى التعليم الثانوى

اتخذت وزارة التربية والتعليم المصرية أهبتها لقبول ٢٨٦٣١ طالبا وطالبة بالسنة الأولى للمدارس الثانوية هذا العام ، منهم ١٦٨٨٠ طالبا بالمدارس الأميرية للبنين ، و ٤٣٥٩ طالبة بالمدارس الأميرية للبنات ، و ٤٩٢١ طالبا بالمدارس الحرة للبنين ، و ٥٦٦ طالبة بالمدارس الحرة للبنات ، و ١٩٠٥ طالبات بالمدارس الثانوية النسوية . وذلك عدا من يقبلون بالمدارس التجريبية وكليتى البنات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من تاريخ المسلمين فى الهند :

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

فى العاشر من شهر مايو سنة ١٩٥٧ بدأت الاحتفالات فى الهند و باكستان بمناسبة مرور مائة عام على ثورة الهند سنة ١٨٥٧ م ضد الإنجليز ، تلك الثورة التى ذهب ضحيتها آلاف من الشهداء ، والتى قضى على الدولة الإسلامية بعد فشلها ، وتمكن الإنجليز من حكم البلاد ، ونفوا آخر إمبراطور مسلم فى الهند بهادور شاه ظفر إلى « رانجون » عاصمة « بورما » حيث ظل فى سجنه هو ومن بقى من أسرته حتى لقوا ربهم ودفنوا هناك .

وقد خطب رئيس جمهورية الهند « راجندر برشاد » كما خطب الرئيس نهرو بهذه المناسبة ولفت نظر المواطنين فى الهند إلى أن الإنجليز لم يستعمروا بلادهم إلا بعد التفريق بينهم - كما أقيمت حفلات متعددة فى مختلف البلاد تمجيدا لهذه الثورة وضحاياها ، وأصدرت الصحف أعدادا خاصة عن تاريخها وخصصت الإذاعة برامج متنوعة عنها .

أما باكستان فقد خصصت لهذه الذكرى المجيدة أسبوعا كاملا تعددت فيه الاجتماعات والخطب من رجال الحكومة والعلماء والمؤرخين فى جميع المدن . وأرسلت وفدا إلى « رانجون » ليضع أكاليل الزهور على قبر الإمبراطور « بهادور شاه ظفر » ، وعنيت صحفها عناية تامة بإبراز الدور الذى قام به المسلمون ، والنصيب الأكبر الذى تحملوه فى التضحية من أجل دينهم ووطنهم وحكمهم ، لينقذوه من براثن الإنجليز الذين دخلوا البلاد باسم التجارة ، ثم ما لبثوا أن تحكموا فيها ، وكان للاذاعة الباكستانية نصيبها الموفور كذلك فى إحياء هذه الذكرى بجانب شقيقتها الصحافة .

* * *

ولقد أتيح لى أن أطلع على هذا الجانب الهام من تاريخ المسلمين فى الهند وجهادهم الدموى ضد الإنجليز بمناسبة ما أقوم به من وضع كتاب عن تاريخ الإسلام والمسلمين فى الهند ، وظهرت أمامى كثير من الحقائق الهامة والمواقف العظيمة التى ألقى عليها الغبار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طويلا ، وأهملت إهمالا كبيرا حتى حيل بين قراء العربية وبين الاطلاع عليها ، ولذا رأيت أن أنتهز هـذه الفرصة فأكتب لمجلة الأزهر شيئا عن هـذه الثورة وما سبقها من مقدمات وما لحقها من نتائج ، لعلى بذلك أؤدى واجبا علىّ نحو تاريخ المسلمين فى هـذه الفترة وفى هذه البلاد ، وغالب ظنى أن هذه المناسبة التى احتفلت بها الهند وباكستان مرت دون أن تلقى أية عناية من الصحف والمجلات العربية الإسلامية .

وقد وجدت نفسى مضطرا حين بدأت الكلام عن هـذه الثورة إلى أن أرجع إلى الوراء قليلا لأربط النتائج بأسبابها حتى لا يكون الحديث مبتورا ، وأمر بالقارئ على المحاولات التى بذلها الغرب للتسلط على الهنـد وانتهت بسيطرة الإنجليز عليها وضمها نهائيا للتاج البريطانى .

* * *

منذ أن دخل محمود الغزنوى الهنـد فاتحا فى نهـاية القرن العاشر الميلادى والحكم الإسلامى قائم فيها تتوارثه دولة عن أخرى حتى انتهى سنة ١٨٥٧ م تماما، وكانت المملكة الإسلامية تقوى حينا فيمتد نفوذها على أكثر بقاع الهند وتضعف حينا فتنكمش رقعتها . وكانت دائما فى صراع مع من حولها من حكام الهنـد وراجواتها الذين كانوا يطمعون فى الاستقلال عنها أو بسط نفوذهم على أراضيها أو تطمع هى فى ضمهم إليها .

وفى الوقت الذى كان فيه الحكم الإسلامى قائما فى الهنـد كانت هناك رءوس أخرى بعيدة عنها كل البعد تفكر فى الوصول إلى هذه البلاد واستغلال خيراتها والقضاء على النفوذ الإسلامى فيها وفى البحار التى تحيط بها أو توصل اليها ، كانت هـذه الرءوس فى أوربا التى شغلت ولا تزال تشغل بالشرق وخيراته وكنوزه ، فأخذت تبحث عن طريق آخر اليها غير الطريق الذى يسيطر عليه المصريون ويحتكر التجارة فيـه البندقيون ، وبحث أهل « جنوا » عن وسيلة تقضى على نفوذ منافسيهم البندقيين فوجدوا ضالتهم فى البرتغال ، وكانت دولة تمتلئ بالحقد والتعصب على الإسلام والمسلمين وتعمل للقضاء عليهما بكل وسيلة . وكان طريق التجارة فى أيدى المسلمين كما أن الهند يسيطر عليها المسلمون « فكان فى طليعة البواعث التى حرضتهم على المجىء إلى الهند الرغبة فى محاربة الإسلام، وذلك حين أصبحت فى القرن الخامس عشر المدافعة عن المسيحية ضد الإسلام واجبا وطنيا وفرضا دينيا على أهل أيبريا من البرتغاليين والأسبانيين . فالإسلام فى رأيهم هو العـدو الصريح الذى يجب عليهم محاربته فى كل مكان ، ومن كلمات الزعيم البرتغالى « البوكرك » الذى وطد حكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البرتغال فى بعض موانى الهند لرجاله حين وصل إلى ملقا قوله : « إن البرتغاليين يؤملون استئزاف قوة الإسلام بإقصاء المغاربة عن تجارة التوابل » . وكان البرتغاليون فى أول حركتهم الكشفية تسيطر عليهم الروح الصليبية وهذه الروح كانت فى جوهرها عداء للاسلام » [١] .

وقام الأمير « هنرى » الابن الثالث لملك البرتغال « يوحنا الأول » والمعروف باسم « هنرى الملاح » والذى تشبع منذ صغره بعداوة الإسلام ، قام هذا الأمير على رأس الحركة الداعية إلى كشف طريق آخر للوصول إلى الهند مستغلا مالية جماعة أنصار المسيح التى كان يرأسها فى تحقيق أغراضه ... وتابعت البرتغال جهودها حتى وصلت أول طلائع سفنها المسلحة إلى ميناء « كاليكوت » على شاطئ مليبار سنة ١٤٩٧ م ... وكان وصولها عن طريق ما سموه « رأس الرجاء الصالح » بدء انقلاب جديد فى عالم التجارة والسياسة معا كان له أثره الكبير فى مصر والبلاد العربية والأوربية معا ... وبدأت البرتغال فى مؤامراتها بالهند وفى البحار المحيطة بها والموصلة إليها ، فارضة سلطانها على تلك البحار والسفن المارة بها ، متعمدة إغراق سفن مصر والمسلمين عموما سواء أكانت تحمل التجارة أو تحمل الحجاج ... كما هجمت على بعض موانى ملك كجرات المسلم وموانى الملك الهندوسى فى مليبار ... فاستعان ملوك الهند بملك مصر فى ذلك الوقت وكان « قانصوه الغورى » ، فبعث الأسطول المصرى إلى المياه الهندية للقضاء على الأسطول البرتغالى بالتعاون مع السفن الهندية ... وتم له النصر أولا على شاطئ مليبار سنة ٩١٥ هـ ، ولكن الأسطول البرتغالى تجمع مرة ثانية فى معركة أمام « ديو » فى الكجرات سنة ٩١٥ ، وكان للخيانة أثرها فى نجاحه على الأساطيل المتعاونة مما جعل الأسطول المصرى يعود إلى مصر ... ولو قدر لهذه الأساطيل المتعاونة النجاح التام فى تحطيم الأسطول البرتغالى لكان من الممكن أن يتغير وجه التاريخ ويكف الغرب عن مغامراته فى الهند وفى الشرق كله ... ولكن هكذا أراد الله .. وتم ما أراد .

ولما رأت دول أوربا ما أتيح للبرتغال من نصر وكسب طائل واحتكار لتجارة الهند ومستعمرات فيها بدأت تحذو حذوها ، فتأسست شركة الهند الإنجليزية الشرقية سنة ١٦٠٠ وبعد ذلك بسنتين تأسست شركة الهند الهولاندية الشرقية سنة ١٦٠٢ ثم تأسست شركة الهند الفرنسية سنة ١٦٦٤ م ، ونزلت هذه الشركات ميدان المنافسة الحامية فى الهند وكل فريق يسعى لإضعاف الآخر والقضاء عليه حتى يخلو له

---

[١] ملخصا عن كتاب الهند والغرب ص ٣١ ، ٣٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجو ... وكانت البرتغال قد وقعت فى حروب متعددة مع حكام البلاد وبدت منها بوادر الشر ، لذلك استقبل حكام الهند هذه الشركات الجديدة المنافسة للبرتغال بشىء من الراحة لعلها تخلصهم من تحكمها وشرورها .. وقد بدأت هذه الشركات كلها باسم التجارة بين الغرب والهند وسعت لإنشاء مراكز لها فى بعض الموانى الهامة مثل سورت ومدراس وكاليكوت وبومباى وغيرها . ثم حصنت هذه المراكز بالسلاح والرجال ، وبدأت بذلك نواة جيش لها نما على مر الزمن حتى أصبح جيشا محاربا ينازل ملوك الهند مستعينا ببعضهم على بعض ، مستغلا الخلافات التى بينهم .

وقد استطاعت الشركة الإنجليزية بعد صراع عنيف مع هذه الشركات أن تثبت أقدامها وتقضى على المنافسين ، حتى خلا لها الجو فى أرض الهند الواسعة ولم يبق للبرتغال وفرنسا إلا بعض مستعمرات صغيرة على الشاطئ ظلت البرتغال متمسكة بها حتى الآن فى « جوا وديوودمن » وتقوم منازعات بينها وبين الهند من أجلها . أما فرنسا فقد تركت ما كان لها عند ما أعلنت الهند استقلالها ، وأما هولندا فقد تركت ما كان لها فى الهند نظير تثبيت أقدامها فى أندونوسيا .

وقد ساعد انجلترا على هذا النجاح ما كان لها من سيادة على البحار بعد قهر « الأرمادا » (١) والقضاء على نابليون ، وبدأ الإنجليز عملهم فى الهند باظهار الخضوع والتذلل للملوك المسلمين وغيرهم والظهور بمظهر الذى يريد تخليص البلاد من شر البرتغاليين ، وتقديم الهدايا الكثيرة من المصنوعات الحديثة فى أوربا مما لم يكن للهند عهد بها ، فكان لها وقع كبير فى نفوس الملوك والحكام ، فاغتر المسلمون وغيرهم بهذه الظواهر ومنحوا بعض التسهيلات والمراكز التجارية للشركة ، معتقدين أنها لا يمكن أن تكون مثل البرتغاليين الذين هاجموا المدن بالمدافع وأغرقوا السفن فى البحار .. وساعد الحكام على هذا الاعتقاد فكرتهم عن الإنجليز وأنهم شعب صغير لم تظهر لهم قوة يخشى منها بجانب قوة الملوك المسلمين حتى نرى مندوب الملك «جيمس» يحاول أن يقابل الملك «جهانكير» فلا ينجح فى محاولته ، ثم لما أراد أن يحصل على رسالة منه لمليكه ، قال له الوزير الأول لجهانكير : « إنه لا يليق بقدر إمبراطور مغولى مسلم أن يرسل كتابا لملك صغير يحكم جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون » وكان هذا فى مستهل القرن السابع عشر ، ويودى أن أقف قليلا مع المؤرخين الذين انخدعوا كذلك بمظهر هذه الشركة فقرروا ما أعلنته على

---

[١] أسطول أسبانيا والبرتغال وكانوا يعتزون به ويسمونه « الارمادا أى الذى لا يقهر » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سبيل التمويه من أن غرضها كان تجاريا بحتا .. فان مثل هذا القول لو جاز على الذين عاشوا فى القرن السابع عشر حينما قامت الشركة فانه لا يجوز أن ننخدع به الآن فنجارى الشركة وكتاب أوربا فى تقرير هذه الواقعة .

إن الواقع يثبت أن هـذه الشركة قامت بعد قرن من وصول البرتغاليين للهند و بعد ما رأى الإنجليز أن البرتغال تسيطر على بعض نواحى الهند وتنشئ لها المستعمرات فيها ، وكان هـذا باعثا على تأليفها بمرسوم ملـكى فى عهد الملـكه « إليزابيث » و بتشجيعها ، فلا بد أن تكون الشركة والحـكومة قـد وضعت نصب عينيها من بادئ الأمر هـذا الهدف . لـكن الإنجليز لم يكونوا من البساطة حتى يعلنوا للناس حقيقة مقاصدهم ، وقد رأيناهم حينما أرادوا السيطرة على مصر يبدءون ذلك عن طريق الصفقات المـالية فأغروا الحكام بالاقتراض وسهلوه لهم ، ثم أخـذوا يتدخلون فى شئون مصر باسم المحـافظة على هذه الأموال حتى تم لهم أخيرا ما أرادوا من احتلال مصر .

هذه هى طريقتهم ، وتلك هى أساليبهم نعرفها الآن و إن خفيت على السابقين الذين وقعوا فى شرك مكايدهم وتدبيراتهم . على أن الشركة ظلت فى أحضان الحـكومة منذ تأسيسها ، وانتهى أمرها بعـد مدة من حياتها إلى أن الحـكومة هى التى كانت تعين رئيسها وتحاسبه بواسطة البرلمـان . . وقد وجدت أحد الـكتاب يكاد يشاركنى هذا الرأى فى كتاب « الهند خلال العصـور » [1] فيقول : . . . فقـد كان هدف الشركة تجاريا ولـكنه امتزج بالسياسة ، وهنا نستطيع أن نـكشف عن حقيقة ما كانت ترمى إليه الشركة . . ولست أجـد وصفا وصف به الإنجليز فى سياستهم نحو الهند والتمهيد لهـا بالصبر عليها إلا ما قاله « مارتن لوثر » عنهم فى هذه العبارة « إن فى رءوسهم عيونا غـريبة وأفـكارا عجيبة » .

لعلنا بما تقدم نكون قد أعطينا فكرة عامة عن العهد الذى سبق الثورة . . أما الثورة ـ أسبابها وحوادثها ونتائجها المفزعة الدامية ـ فستكون موضع حديثنا المقبل إن شاء الله ما

عبد المنعم النمر

عضو بعثة الأزهر والمؤتمر الإسلامى فى الهند

---

[١] هو الأستاذ البشبيشى وكان موظفا بالاذاعة الهندية ، ومادة كتابه تقوم على الاشادة بمجد [illegible] القديمة ، وبعثها من جديد .

أعلم الصحابة بالحلال والحرام

هو وصف وصف به النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من شباب أصحابه عبقريا نهما فى طلب العلم بالحلال والحرام حتى بلغ فيه الغاية. لقد كان يفتى فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم فما ينكر عليه أحد من الناس، ولا سيما بعد ذلك الوسام الذى منحه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد أضاف النبي إليه أوسمة أخرى : فأقسم له أنه يحبه ، وأطلعه الله سبحانه على أنه يأتى يوم القيامة أمام العلماء برتوة (خطوة) فأعلن ذلك فى صحابته الأكرمين ، ثم خلفه بمكة بعد الفتح ليفقه الناس ويقرئهم القرآن ، ثم بعثه إلى اليمن فى السنة العاشرة للهجرة وبعث معه بكتاب قال فيه : إنه من خيرة أهله ووالى علمهم ودينهم ، وقد امتحنه السيد الرسول صلوات الله وسلامه عليه امتحانا زاده فيه ثقة وشرح صدره به حتى قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسوله .

روى علماء الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن واليا ومعلما وقاضيا قال له : بم تقضى إن عرض قضاء ؟ قال : بما فى كتاب الله . قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : أقضى بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فان لم يكن ؟ قال : أجتهد رأيي ولا ألو .

وهذه مناسبة كريمة أستطيع أن أحذر فيها فطانة القارئ الكريم من أن ينخدع بما يقول المتحاملون المشوهون للحقائق حول الإسلام الدين الخالص السليم الصفى الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من أنه مقتبس أو بعضه من الفقه الرومانى ، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . وإنما هو دين تقعدت قواعده وتمت كلمته قبل أن يعرف المسلمون ما يقول الرومان أو غير الرومان ، مستقلا دقيقا فى أصوله ومبادئه مثريا فى تشريعه وحقائقه إثراء لا يسمح له أن يكون عالة على غيره ولكنه يسمح لغيره أن يكون عالة عليه ، وهذا سيد من سادات العلماء يسأله النبي صلى الله عليه وسلم : كيف يقضى ؟ فيقول إن قضاءه فى كتاب الله أو سنة رسوله أو الاستنباط من واحد منهما ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبعد فان ذلك السيد هو الإمام (معاذ بن جبل بن عمرو الأنصارى الخزرجى) الذى لم يتجاوز عمره نيفا وثلاثين سنة بنت له هذا المجد الذى جعل مثل عمر بن الخطاب - وهو الإمام الفقيه العظيم - يعترف له فيقول : لقد عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ . ويقول فيه وقد أذن له أبو بكر أن يخرج فى جهاد المشركين بالشام : لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها فى الفقه ، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه ، فقال : رجل أراد وجها يريد الشهادة ، فلا أحبسه .

ولد معاذ بالمدينة قبل الهجرة النبوية بعشرين سنة أو خمس عشرة على اختلاف الروايات بين ذلك ، وشهد بيعة العقبة الثانية مع الأنصار ، ثم لزم غرز النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة يأخذ عنه ويسأله فى ذكاء عجيب وفقه واستخراج ودقة ، والحفظ شيء والفقه شيء آخر ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . فمعاذ من أهل الفقه والإدراك السليم والكياسة حتى يشهد له عبد الله بن مسعود (وكان صاحب مدرسة فى الفقه والاستنباط) فيقول إن معاذ كان أمة قانتا لله حنيفا ، وقد كنا نشبهه بابراهيم .

ويشهد له عبد الله بن عمرو بن العاص فيقول فيه وفى صاحبه أبى الدرداء : خذوا عن العاقلين معاذ بن جبل وأبى الدرداء .

لزم هذا التلميذ المثقف النجيب صاحب الرسالة وتعلق به تعلقا جعله واحدا من أربعة جمعوا القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا كلهم من الخزرج ، وإذا قيل إن فلانا جمع القرآن فى عهد الصحابة فمعنى ذلك أنه كان عليما بما فيه ، لأن الحفظ يومئذ إنما كان عن دراسة ومعرفة بالمناسبات وأسباب النزول ، فهو حافظ ومفسر .

روى صاحب العقد الفريد [١] عن الحشنى يرفعه قال : تفاخرت الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : لنا غسيل الملائكة حنظل الراهب ، ومنا عاصم الأفلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ . فقالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

---

[١] جـ ٣ ص ٢٧٩ بتصحيح الأستاذ العريان وتحقيقه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على أن معاذا ذلك الشاب العالم الخطير لقد كان من خيرة العاملين الصالحين حتى قالوا إنه شهد المشاهد كلها مع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو من أهل بدر وما أدراك ما أهل بدر ، ثم هو من أهل أحد والأحزاب وبيعة الرضوان و و . . . ويالها من مناقب أعيت حتى على كثير من الأصحاب الكرام .

وقد بلغ من حرصه على الاستشهاد فى سبيل الله أنه طلب من السيد الخليفة أبى بكر رضى الله عنه أن يخرج إلى الشام فى جيش أبى عبيدة كما سبقت الإشارة ، ذلك الجيش الذى ما يزال يجاهد فيه وهو خير عضد ومعوان لأبى عبيدة حتى كانت وفاته بطاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة وعمره نيف وثلاثون سنة .

بعض صفاته :

قال محمد بن سعد : كان معاذ رجلا أبيض طوالا حسن الثغر عظيم العينين مجموع الحاجبين جعدا قطط .

فأما منزلته فى العلم والدين والفقه فقد رأيت أنها منزلة الإمام الذى لايجارى فى معرفة الحلال والحرام ، وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث بين معرفة الحلال والحرام وبين القضاء فعلى كرم الله وجهه أقضى الصحابة ، ولكن معاذ أعلمهم بالحلال والحرام ، ومعنى ذلك والله أعلم أن معاذا أقوى فى الإفتاء والإجابة ولكن القضاء الذى امتاز به علىّ موهبة تجعل صاحبها أقدر على الخروج من المآزق وأقوى على حل المشاكل وأذكى من غيره لاستخراج الحق بين دعوى المبطلين وانتحال المحتالين ، وإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال « لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له » فإن معنى ذلك أن القضاء مهمة من أخطر المهام وأحوجها إلى ندرة الذكاء وقوة العبقرية ، فهو شىء غير معرفة الحلال والحرام فى هدوء ويسر وبصر ، وهى مزية معاذ التى لا يبارى فيها باصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم إياه لها ، ولهذا كان يفتى والرسول صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه كل آية فى كتاب الله ، وقد جعله إماما يصلى ببعض الطوائف فى حياته كما دل عليه الحديث الصحيح ، فان رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو أنه لايكاد يدرك الصلاة من تطويل معاذ فقال « أفتان أنت يا معاذ ؟ من أم بالناس فليخفف » الحديث .

وكان معاذ عالما يأخذ عنه الكثير من كبار الصحابة منهم عمر وابنه وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وأبو أسامة ، والكثير من التابعين وكبارهم من أمثال الأسود بن يزيد النخعى

ومسروق بن الأجدع وأبي مسلم الخولانى والأسود بن هلال وغيرهم ممن نقلوا الفقه وخرجوا الأئمة ، وقد بلغ عدد أحاديثه فى الصحيحين فقط ١٥٧ حديثا .

قال أبو مسلم الخولانى دخلت مسجد حمص فاذا فيه نحو من ثلاثين من كهول الصحابة وفيهم شاب أكحل براق الثنايا ، فاذا امتروا فى شيء سألوه ، فقالوا لى : هذا معاذ ونقل الذهبي مثله فى التذكرة أيضا عن شهر بن حوشب وقال إن ذلك أول خلافة عمر .

فهو لم يدع العلم والإفادة به حتى أثناء جهاده فى سبيل الله وقال أبو بحرية أيضا . دخلت مسجد حمص فاذا فتى جعد قطط ، إذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقالوا : هذا معاذ بن جبل .

وفى خطبة عمر المشهورة : من أراد القرآن فليأت أبيا ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيدا ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذا ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فان الله جعلنى له خازنا وقاسما .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ويقسم على ذلك وقد خرج معه لما بعثه إلى اليمن يشيعه ماشيا تحت راحلته وهو يقول : يا معاذ ، عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ، ولعلك تمر بمسجدى وبقبرى ، حتى أبكاه وهو يقول له : لا تبك فان البكاء من الشيطان .

وكان فى معاذ كرم وسماحة حتى كان لا يمسك شيئا ، وجدير بتلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم أن يكونوا أزهد الناس فى الدنيا وأحرصهم على الآخرة . روى عمر بسنده إلى عبدالله بن كعب عن أبيه قال : كان معاذ شابا سمحا جميلا من أفضل شباب قومه وكان لا يمسك ، فلم يزل يدان حتى أغلق ماله كله من الدين ، فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل غرماءه أن يضعوا له ، فباع النبي صلى الله عليه وسلم ماله كله فى دينه وقام بغير شيء ، حتى إذا كان عام الفتح بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أمير البجيرة .

وقالوا : إنه لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له : أتبكى وأنت صاحب رسول الله وقد قال فيك كذا كذا ؟ فقال : ما أبكى جزعا من الموت حل بى ولا على دنيا تركتها بعدى ، ولكن إنما هما القبضتان فلا أدرى من أى القبضتين أنا .

ومعنى ذلك أن معاذا كان ممن يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون ، وجدير بمن كان أمة قانتا لله ، وعالما بصيرا بحقوق مولاه ، أن يخشاه وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

ومن العجيب البديع ما يرويه فى هذا المقام صاحب العقد الفريد (١) عن أبى خباب

(١) ١٨٢ - ٣

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال : لما احتضر معاذ قال لخادمته ويحك أهل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ثم قال لها : انظرى ، فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار !

ثم قال : مرحبا بالموت . مرحبا بزائر جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم . اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لكرى الأنهار ، وغرس الأشجار ، ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظمأ الهواجر فى الحر الشديد ، ومزاحمة العلماء بالركب فى مجالس الذكر.

فمعاذ ليس ممن ألهاهم التكاثر بكرى نهر ولا غرس شجر ، ولكنه القوام الصوام ، كما تقرب إلى مولاه بذكر ذلك فى ساعة يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ، ومعاذ ممن يزاحمون العلماء تواضعا لله وهضما لنفسه حتى آخر لحظة من حياته .

* * *

وهذه بعض جمل مما ترك معاذ من تراث أدبى خالد مهذب ، روى عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال :

إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاء وفتنة ، ولا يزيد الأمر إلا شدة ، ولا الأمة إلا غلظا ، ولا يأتيكم أمر يهولكم إلا حقره ما بعده .

وعن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإنى أخاف عليكم فتنة السراء ، وهى النساء إذا تحلين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يطاق . وليت شعرى ما يقول اليوم إذا رأى ما صارت إليه الدنيا ؟ ونسأل الله العفو والعافية .

ولما قبض أبو عبيدة فى طاعون عمواس الذى لم يمهله من بعده كتب معاذ إلى الخليفة ينعاه فكان مما قال : لعبد الله عمر أمير المؤمنين من معاذ بن جبل . سلام عليك ، فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فاحتسب امرءا كان لك أميرا ، وكان الله فى عينه عظيما ، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزا ، أبا عبيدة بن الجراح غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله نحتسبه وبالله نثق له ، كتبت لك وقد فشا الموت وهذا الوباء فى الناس ولن يخطئ أحدا أجله من الموت . ومن لم يمت فسيموت . جعل الله لنا ما عنده خيرا لنا من الدنيا إن أبقانا أو أهلكنا . فجزاك الله عن جملة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

رحم الله الجميع وجعل لنا فى سيرهم الطاهرة خير عظة وذكرى وعبرة ما

محمود النواوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صور إسلامية :

عندما أخرجنا من الأندلس

ما أظن أن صورة من صور التاريخ الإسلامى تهز النفس هزا عنيفا وتأخذ بالألباب وتثير الشجون وتدفع الدمع من المآقى مدرارا ـ على كثرة ما فى التاريخ الإسلامى من صور باهرة لأحداث ضخمة ـ كما تفعل صورة « أبى عبد الله » آخر ملوك الأندلس وهو فى طريقه إلى خارج غرناطة ـ آخر معقل من معاقل الإسلام ـ مقهورا مدحورا . وقد حمل معه زوجه وأمه ، وودع الأرض المقدسة راضيا بالذلة والمهانة ليسلم مفاتيح الحمراء إلى فرديناند فى طريقه إلى البشرات .

ما أقسى تلك الصورة وقد أشرف أبو عبد الله على منظر غرناطة واستدار على فرسه فوق الربوة ليسرح بصره لآخر مرة فى هاتيك الربوع العزيزة التى ترعرع فيها وشهدت سلطان آبائه ، ثم شهدت ذلته وهو خارج لا يلوى على شىء . وقد ضاع كل شىء .

هنالك انهمر دمعه وأجهش بالبكاء ، وفاضت نفسه بالألم العميق عند ما تصور أنه آخر ملوك الإسلام فى الأندلس ، وأن التاريخ الإسلامى سيكتب له صفحة سوداء من الجبن والهزيمة قضت عليه بتسليم مفاتيح الملك العريض إلى الأعداء ، مخلفا شعبا كبيرا قد وقع فى براثن الخصوم المتعصبين الذين أذهلتهم نشوة النصر فأعملوا فيه سحقا وتنكيلا ، غير أن عائشة لم تدعه يمضى فى تأملاته ودموعه تنساب على صفحة وجهه إذ أسرعت تقول له : « ... أجل فلتبك كالنساء ملكا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال » .

وما تزال تلك الأكمة تسمى « زفرة العربى الأخيرة » .

ومضى أبو عبد الله إلى البشرات فأقام فيها ما شاء الله له أن يقيم ، ثم انحدر إلى الساحل وجاز البحر والتجأ إلى بلاط فاس وعاش أعواما طوالا تملأ نفسه الحسرات وآلام الندم ، حتى توفى بعد ذلك بأربعين عاما .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا بد أن أبا عبد الله سمع أنباء المسلمين بعد خروجه ، وكيف حل بهم قضاء أعنف من القضاء نفسه ، وقد امتد هذا القضاء أكثر من قرنين من الزمان للقضاء على آخر « مسلم » فى أرض الأندلس .

كان ذلك اليوم الذى خرج فيه « أبو عبد الله » من الأيام المظلمة الشديدة الظلام ، فقد استيقظ أهل قصر الحمراء مبكرين ذلك اليوم ، يجمعون مخلفاتهم وأموالهم ونفائسهم ، والبكاء يرن فى حنايا القصر وأبهائه .. والوجوم يسود الوجوه .. والألم يغص به كل حلق .

وغادر السلطان القصر ومعه أمواله وأمتعته وأهله وصحبه القلائل وفريق من الفرسان ، وامتطت أمه الأميرة عائشة صهوة جوادها حزينة موغلة فى الحزن . . كما ركبت زوجة السلطان . واخترق الركب غرناطة فى صمت ، والناس يتطلعون إلى هذا الميت الحى الذى خلف لهم غدا غامضا مبهما ، فيه الوحشة الموحشة والقضاء الأسود .

وكان حصار فرديناند قد استمر أكثر من عشرة أشهر لغرناطة كعمل عسكرى نهائى لتسلم آخر معاقل المسلمين ، وكان فى استطاعة أبى عبد الله ومن حوله من الفرسان أن يدافعوا عن معقلهم الأخير حتى الموت وألا يسلموه بمثل هذه السهولة . !

ولكن قادة غرناطة إذ ذاك كانوا قد بلغوا مبلغهم من الرخاوة والترف ، فلم تعد تملأ أنفسهم تلك العزيمة الصارمة التى كانت تقاوم الأحداث والخصوم دون أن تبالى المصاير . وهو نفس المعنى الذى صوره الفارس موسى بن أبى الغسان عندما رأى القادة يسجلون وثيقة التسليم : قال « . . لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بعهدهم لكم ، ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم . إن الموت أقل ما نخشى ، فأمامنا نهب مدينتنا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا وخراب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا . وأمامنا الجور الفاحش ، والتعصب الوحشى والسياط والأغلال . وأمامنا السجون والأنطاع والمحارق . هذا ما سوف نعانى من مصائب وعسف . وهذا ما سوف تراه على الأقل هذه النفوس الوضيعة التى تخشى الآن الموت الشريف . أما أنا فوالله لن أراه » . . ثم غادر المجلس ومضى . . يبطش بفرسان العدو حتى قتل منهم عددا كبيرا فى معركة ضخمة جرح فيها وسقط جواده من تحته قتيلا . فمضى يطعن بخنجره ويدافع عن نفسه . فلما خاف أن يقع فى يد خصومه ارتد إلى الوراء وألقى بنفسه فى النهر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لله ما أبعد الفرق بين الصورتين والرجلين .

* * *

وصورة أخرى تبدأ بعد خروج أبي عبد الله وتتكرر خلال قرن كامل، لقد سلمت غرناطة في ديسمبر سنة ١٤٩١ ، وفي ديسمبر ١٦١٠ خرج آخر عربي من الأندلس . . .

هذه الصورة هي منظر العرب المسلمين وهم يخرجون فزعين هاربين من وجه الظلم والقتل حاملين ما يستطيعون حمله . . رجال ونساء ، وشيوخ عجائز وأطفال صغار يجرون أذيال الألم والحزن والفقر ، يركبون بعض الدواب أو يسيرون حفاة في الرمال التي تحرق أقدامهم بنارها . . وقد ربطوا في رقابهم مفاتيح بيوتهم التي غادروها بأمل العودة يوما قريبا إلى هذه الديار ، وما تزال هذه الأفواج تتعدد وتتوالى ويمسي عليها الليل فتبيت في العراء ، قد تجد ما يبل ظمأها ويسد رمقها أولا تجد فتتلوى على الجوع أياما وليالي طويلة ، حتى تصل إلى الشاطئ فتجوز إلى المغرب .

لقد استمرت هذه الصور تتكرر يوما بعد يوم في مدى أكثر من تسعة عشر ومائة من الأعوام حتى بلغ عدد من هاجروا أكثر من ثلاثة ملايين عربي . كان الفوج الأخير منهم الذي أخرج عام ١٦١٠ أكثر من نصف مليون .

وإذا كان هذا عدد من هاجروا فكم عدد الذين أحرقتهم محاكم التفتيش وقتلوا غيلة وذبحوا كالأغنام .

وعلى مر هذه الأعوام منذ سقطت غرناطة والعرب يقاسون فزعا وذلا وظلما لا حد له ولا عهد لهم به ، فهم غرباء في الديار التي كانوا سادتها وحكامها ، وهم مراقبون ، جماعات فقيرة لا تملك شيئا إزاء العذاب الذي صبه الفرنجة عليهم صبا في صور مختلفة من الإعنات والظلم والغدر ، وهم إلى هذا الفقر والظلم أقوياء في عقيدتهم وإيمانهم لا يستسلمون ولا يذلون ، وإنما يقاومون ظلما مهولا وحربا طاحنة وتارا متقدة يقاومونها بأجسادهم إذا أعوزهم السلاح ، والقرى تحرق بهم حرقا ، والدخان يرسل إلى كهوفهم حتى يموتوا أو يخرجوا ليقتلوا ، وهم مع هذا كله لا يستسلمون ، يهاجرون ما استطاعوا إلى ذلك خفية ، ويقاومون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ويفرض عليهم دين جديد غير دينهم ويرغمون عليه بالتعذيب والمثلة ، ومع ذلك يظل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كل منهم مؤمنا بدينه الأول يؤدى فرائضه خفية ويحتمل فى سبيله كل شىء ، والمطاردة والوشاية تلف كل مكان وكل شىء . . دون أن ينال ذلك من النفس العربية المؤمنة شيئا .

ورفع محمد بن أمية لواء الثورة ، وجمع حوله الناس وسرق على الفرنجة واقتحم عليهم كل مكان وتحصن بالجبال ، وجردت له قوات ضخمة فوقف أمامها وأذال منها حتى اضطر خصومه إلى طلب المفاوضة .

أكره المسلمون على التنصر ، وأكرهوا على الهجرة تاركين ثرواتهم وأرضهم ، ورفعت النواقيس فى صوامع المآذن . ومع ذلك فقد ظل الذين ارتدوا تقية موضعا للارهاق . وأغلقت المساجد ، وحظر على أهلها إقامة شعائر الإسلام ، ومضت حملة التشريد والإبادة فى طريقها ، ومضت المقاومة فى طريقها ممتدة على الأيام والشهور والأعوام فى غرناطة والبشرات والبيازين . حدث هذا كله بالرغم من العهود المضللة التى قطعها فرديناند على نفسه والعقود التى وقعها . . وصدق الفارس بن أبى الغسان الذى كان كأنما يقرأ لوح القدر . ذلك أنه كان يعلم أن الفرنجة لا وعد ولا عهد لهم ولا ضمير ، وأنهم كانوا كذلك فى تاريخهم كله مثلا للغدر والظلم والنكث بالعهود والتآمر ، على هذه العناصر كلها قامت حضارتهم ومضت أساليبهم فى الفتح والاستعمار . وبقى للاسلام شرف الكلمة والكرامة والصمود ما

أنور الجندى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

احتفال الأزهر بالهجرة

احتفلت مشيخة الأزهر بذكرى الهجرة النبوية الشريفة واستقبال العام الهجرى الجديد ، وذلك فى ساحة الرواق العباسى ، حيث اجتمع عدد كبير من علماء الأزهر وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وكثير من الطلاب وطوائف الجماهير ، كما شهده ممثلو السفارات والمفوضيات الإسلامية .

وألقى كلمة الاحتفال فضيلة الشيخ محمد الطنيخى ، المدير العام للوعظ والإرشاد بالأزهر وعضو جماعة كبار العلماء ، وقد تحدث فيها عن أسرار الهجرة الإسلامية ، وجهاد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه فى سبيل إظهار دعوته . وتلاه فضيلة الشيخ محمود طيره فألقى قصيدة كريمة .

ودعا فى ختام كلمته أن يوفق الله جمهورية مصر وعلى رأسها القائد الوطنى الكريم الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن يوحد كلمة العرب والمسلمين .

ثم وزعت الحلوى فى نهاية الاحتفال على المدعوين ، وختم كما بدئ بتلاوة آى الذكر الحكيم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بشائر العام الهجرى الجديد

أشرقت على البلاد شمس حياة نيابية جديدة كان الشعب المصرى يتحرق إليها شوقا ويهفو بقلبه إليها حنانا ووجدا ، فالشعب المصرى كـكل الشعوب تواق إلى أن يحكم من طريق الجماعة بعد أخذ رأيه فيها ، وحتى فى عهد الحكومات السابقة التى كانت تغلب عليها الأثرة كان يجب أن يحكم من طريق الشورى الشعبية . وقد اتضح لـكل ذى عينين أن حكم الشعوب عن طريق القوة والإعنات من شأنه أن يورث الأحقاد والأضغان على حاكميه . وفى تاريخ القرن العشرين أمثلة ماثلة فموسوليني وهتلر حـكما شعبيهما بطريق النار والحديد ، فأتى الله بنيانهما من القواعد .

إذن فالشورى مبدأ المبادئ وأساس الأسس ، أول من أخذ بها الإسـلام ونادى بها كمبدأ منقذ للبشرية من جبروت الحاكمين يؤصل فى الشعوب الإيمان بحقوقها وينشر بينها مبدأ العدل والإخاء والمساواة ، كما قال شاعر العرب السيد عبد المحسن الكاظمى :

ملوك على كل الملوك ثلاثة ... لها الحكم دون الناس فى الفتق والرتق
وأقسم أنى لا أكون لغيرها مطيعا ... ولو من أجلها ضربت عنقى

فالحياة النيابية أقرها القرآن فقال « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فـحكم الشورى مبدأ معترف به فى الإسـلام ، بل فى جميع الأديان قديمها وحديثها وقد أطبق علماء القانون الدستورى على أن جميع السلطات مصدرها الأمة ، فجاء دستور البلاد مؤيدا لهذه النظرية العامة وهو ينص على أن الأمة هى مصدر السلطات .

وبهـذه المناسبة نحب أن نقدم إلى جمهرة قـراء هذه المجـلة بحثا عن حياة الشورى (الديمقراطية) وعلى رأس الأزهر والمعاهـد الدينية رجل نهل من ثقافة الغرب وأحاط بمكنونها ودقائقها هو شيخ العلماء وشيخ الجـامع الأزهر .

كان الملوك ولا سيما فى فرنسا يذهبون إلى أن سلطانهم مستمد من الله ، وأنهم لا يقدمون حسابهم إلا ، إليه وأن ليس على الشعوب إلا الطاعة والرضوخ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولقد كان من الطبعى على الكتاب الذين آمنوا بحقوق الشعوب ونظام الشورى أن يتخذوا من المبدأ الديمقراطى أداة لمقاومة استبداد هؤلاء الملوك ، وعلى هذا الأساس عادت النظرية الديمقراطية إلى الظهور كسلاح فى وجه حكم الفرد ، ولم يكن الغرض منها استخدامها لعزل الملوك وإنما للحد من سلطانهم .

ولعل أول مثل لاستخدام هذه النظرية وجد بفرنسا عند ما اجتمعت الهيئات العمومية عام ١٤٨٤ فى عهد الملك القاصر شارل الثامن ، فقد صرح فيليب بو بأن : « الشعب هو صاحب السلطة ، وهو الذى يهبها للملك ، وعلى ذلك فما دام الملك قاصرا فالشعب ممثلا فى الجمعيات العمومية ـ لاالأمراء ـ هو صاحب الحق فى تنظيم الوصاية » .

وعند ما قامت الحروب الدينية فى القرن السادس عشر أخذ كل من الكاثوليك والبروتستانت بحسب الظروف يتمسك بالمبدأ الديمقراطى ضد استبداد الملوك ، وفى هذا العصر زاد المبدأ وضوحا وبدأ الكتاب يرجعون الديمقراطية إلى فكرة العقد ، فالشعب هو صاحب السيادة أصلا إلا أنه تنازل عنها للملك بشروط خاصة ، فاذا ما أخل الملك بهذه الشروط فسخ العقد وعادت سلطة الملك بلا أساس قانونى ، وغدا عاهلا ظالما ليس على الشعب له الطاعة بل وتحل مقاومته والتخلص منه .

يتضح مما تقدم أن الديمقراطية حتى القرن السابع عشر كانت تتلخص فيما يلى :

١ — أن الشعب هو صاحب السلطة الحقيقية .

٢ — أنه يتنازل عنها أو بعبارة أصح عهد بها إلى ملك .

٣ — أنه يستطيع استرداد هذه السلطة فى ظروف معينة .

وقد أدى ازدياد الاستبداد فى عهد لويس الرابع عشر والخامس عشر إلى تقوية المبدأ الديمقراطى تقوية أدخلته فى عداد المبادئ السياسية ، ولم يلبث أن ظهر بعد ذلك ضمن مبادئ القانون العام الحديثة .

ولقد نادى كتاب ذلك العهد ـ القرن الثامن عشر ـ بفكرة جديدة هى فكرة عدم قابلية السيادة للتنازل عنها ، بينما أخذت فكرة التعاقد مع الملك فى التلاشى فلم يعد الملك طرفا فى العقد ، بل أصبح مندوبا عن الجماعة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونظرية العقد الاجتماعى Contrat social التى تنسب بصفة خاصة إلى جان جاك روسو والتى تفترض وجود حالتين :

أولا : حالة طبيعية Etat de nature سابقة على وجود الجماعة المتمدينة لم يكن الفرد فيها خاضعا لاى سلطان ، بل بالعكس كان متمتعا بحرية كاملة مطلقة . هذه الحالة الطبيعية كان يسلم بها أنصار المدرسة الطبيعية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ثانيا : عقد اجتماعى Contrat social صريح أو ضمنى أنهى به الأفراد حالتهم السالفة راغبين فى الخروج منها لتكوين أمة Nation فأقاموا باتفاقهم الإجماعى سلطة أعلى من سلطة الأفراد هى سلطة الفرد المشترك ، أو بعبارة أخرى هى « سلطة الأمة » .

ويرى روسو أن السلطة لا يمكن أن تكون شرعية Légitime إلا بالاتفاق الصريح السابق على وجودها . ولذلك فهو لا يعترف بسلطة الأسرة ولا بسلطة طبقة خاصة ولا بسلطة الفتح ولا بسلطة الأسياد على العبيد ـ وعلى هذا الوضع فالعقد الاجتماعى لم ينشئ السلطة بل أنشأ الأمة أيضا .

وكما هو واضح من هذا الشرح التاريخى نجد أن الديمقراطية إلى عهد روسو أى إلى القرن الثامن عشر لم تكن سوى نظرية فلسفية يراد بها الحد من سلطة الملوك .

الثورة الفرنسية تجعل من الديمقراطية مبدأ قانونيا :

عندما اجتمعت الهيئات العمومية فى ١٧ يونيو ١٧٨٩ أراد نواب العامة على أثر خلاف بينهم وبين الأشراف ورجال الدين ، أن يجعلوا مبدأ سلطان الامة أساس عملهم وأطلقوا على أنفسهم اسم « الجمعية الوطنية » وأعلنوا أنهم مكلفون بتمثيل إرادة الأمة العامة La volonté général de la nation .

وقد كان هذا الانفصال الناجح انتصارا كبيرا لممثلى الشعب ، ولم يأت يوم ٢٦ أغسطس فى السنة نفسها إلا وقد صدر إعلان حقوق الإنسان الذى نص على أن مبدأ السيادة يتركز فى الأمة .

وقد أضافت المادة السادسة من إعلان حقوق الإنسان نفسه « القانون هو التعبير عن إرادة الأمة » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد عاد مبدأ سيادة الأمة فتكرر فى إعلان حقوق الإنسان الصادر مع دستور ١٧٩٣ فنصت المادة الخامسة والعشرون على أن « السيادة تتركز فى الشعب ، وهى غير قابلة للانقسام ولا يمكن ضياعها بالتقادم ولا التنازل عنها » .

وقد جاء بإعلان حقوق الإنسان و واجباته الملحق بدستور السنة الثالثة بالمادة السابعة عشرة « السيادة تتركز أصلا فى مجموع المواطنين » .

وهكذا جعلت الثورة الفرنسية من المبدأ النظرى الفلسفى قاعدة قانونية عامة نبت عليها القانون العام الحديث بل وسرت مبادئ الثورة الفرنسية إلى الممالك المجاورة ، تنفث سحر مبدأ سلطان الأمة الذى وجد مرتعا خصبا فى جميع الملكيات المستبدة فقضى على أغلبها سريعا .

ولعل مبدأ سيادة الأمة لم يجد سرعة فى الانتشار كسرعة انتشاره عقب الحرب العظمى الأولى ، فقد أخذت به جميع الدساتير الحديثة على وجه التقريب .

(يتبع)

عباس طه
المحامى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

العربية فى اللغة الفارسية

خطب كبير علماء الأدب العربى فى القارة الهندية الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى فى حفلة تكريم أقيمت له فى مكة ، ومما قاله : إن الشعر الفارسى لم يوجد ولم يولد إلا فى أحضان الشعر العربى ، وأقدم شاعر فارسى كان فى القرن الرابع الهجرى . وعلى غرار الشعر العربى وقوانيه وأهدافه كان شعراء الفرس ينظمون . وإن بلاد فارس (إيران) كانت فى القرن الهجرى الأول والثانى بلاد عروبة ، فكان العامة والخاصة فيها يتكلمون باللسان العربى . فلما دخلتهم روح (الشعوبية) فيما بعد رجعوا إلى التحدث باللسان الإيرانى ، لكنهم اضطروا لإدخال مئات الصيغ العربية فيه ، واستدل على هذا بأدلة من الشعر العربى والروايات العربية القديمة التى كان يحاضر بها من ذاكرته القوية .

تحية العام الهجرى الجديد

الفجر لاح بمشهد فتان ... فى لوحة ، جلت يد الفنان
يا مطلع العام الجديد ، تحية ... من كل قلبي ، لا بطرف لسانى
جدّدت ذكرى فى النفوس كريمة ... تحتل فى العليا أعز مكان
ذكرى الذى أبلى ليصنع أمة ... قد وحدت ، من عابدى الأوثان
ذكرى النبيّ غدا يهاجر مكرها ... يحمى رسالته من العدوان
ورفيقه الصديق فى الغار الذى ... شملته فيه عناية الرحمن
نسجت خيوط العنكبوت ببابه ... فكأنه خال من الإنسان
والقوم قد وقفوا حيارى هالهم ... وأغاظهم أن يفلت الرجلان !
ويميل صاحبه ويهمس قائلا ... ماذا لو امتدت لنا عينان ! ؟
فيجيبه الهادى إجابة واثق ... من نصرة المولى بغير توان
لا تحزنن ، فالله ثالثنا توا ... كبنا عنايته ، بكل مكان
وإذا العناية لا حظتك عيونها ... فاليك لا تمتد قطّ يدان ! !

* * *

لك يابن عبد الله أروع قصة ... قد كنت فيها أعظم الشجعان
جاهدت فيها أمة وثنية ... بل دولة الطاغوت والطغيان !
ولقيت منهم شر ما يلقى الفتى ... من بطش جبار عنيد جانى
فصبرت صبرا ، ما لغيرك مثله ... ودفعت بالحسنى ، وأنت تعانى !
قلب كبير ، لا يغالبه الأسى ... ماض بعزم ثابت الأركان
زادوه إيذاء ، فزاد تسامحا ... وتلطفا ، شأن العظيم البانى
حتى إذا ما الظلم جاوز حدّه ... شد الرحال بدافع الإيمان
ومضى ليثرب ، حيث كان صحابه ... الأنصار فيها ، خيرة الإخوان
لاقوه بالبشر العظيم وقدّموا ... لله آى الحمد والشكران
وأقام بينهم الرسول مشرعا ... ويمدّه مولاه بالقرآن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولقد تآخى المسلمون بيثرب وتسابقوا فى البر والإحسان
كانوا ـ وبينهم الرسول معلما وموجها للخير ـ عقد جمان
لم ينفرط رغم الخطوب لأنه عقد متين ، نظمه ربانى !
وإذا ترابطت القلوب فحلها أمر عسير ، ليس بالإمكان !!

* * *

ولكم تمادى الشرك فى غلوائه ولكم طوى كشحا على العدوان
ولكم أثار الحرب ضد محمد ولكم هنالكم التقى الجمعان !
ولكم أراد الشر يفتح بابه فيبوء منه بأكبر الخسران
حتى أتى اليوم الأغر المرتجى يوم انمحاء الشرك والبهتان
يوم تسامى الحق فيه إلى الذرا والجيش من بطحاء مكة دان
هذا رسول الله أقبل جيشه لجبا يزلزل دولة الشيطان !
هذا رسول الله يدخل فاتحا والشمس ساطعة على الأكوان
والجيش يزحف فى ضجيج جنوده وصهيل خير كتائب الفرسان
وملائك الرضوان حفت بالألى ضحوا لترفع راية القرآن
دخل الرسول البيت أروع ماجدا والشوق غالبه من الحرمان
ومضى يطهره من العار الذى جثوا عليه ولوثة الأوثان ! !
ورءوس مكة يشهدون مصارع الـ أصنام فى ذل المهيض الوانى !
جلسوا بجانبه على جمر الغضى ينتابهم فزع الأثيم الجانى
لكنه والصفح شيمته ـ عفا عفو الكريم القادر الإنسان ! !
وتوافدت أفواج مكة تعلن الـ إسلام فى صدق وفى إذعان !
واعتز دين الله بالفتح الذى غمر القلوب بعامر الإيمان !
والحق غلاب وإن طال المدى والباطل المفضوح للخذلان
والصبر فى ظلم الخطوب ينيرها ولكم به نيلت منى وأمانى ! !

محمود ابراهيم طيره

مفتش الوعظ العام بالأزهر ورئيس بعثة الهيومال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما نشر الآن من تاريخ مدينة دمشق القسم الأول منه وعنوانه (محاسن دمشق) ، ذكر فيه اشتقاق اسمها وذكر من بناها وعدة أبوابها وقلعتها وذكر مسجدها الجامع وسائر مساجدها والمزارات بباطنها وظاهرها والخوانق والربط والمدارس والكنائس والأعمار والحمامات ، وختم هـــذا القسم بذكر فضلها وما مدحت به نثرا ونظما . وسيكون القسم الثانى خاصا بأنهارها وقنواتها وجبالها وما اشتمل عليه جندها من البلاد ، وذكر بلاد جند الأردن وبلاد جند فلسطين وما فيها من المزارات . وفى القسم الثالث ذكر أمراء دمشق ومن ملكها من أيام الفتح إلى سنة ٦٧٤ .

وقد تولى إصدار الكتاب المعهد الفرنسى للدراسات الإسلامية بدمشق ، واعتمد ناشره الدكتور الدهان فى تحقيقه وطبعه على مخطوطتى لندن وليدن وقد وصفهما ونشر صور نماذج منهما وذيل الكتاب بخمس فهارس علمية وافية . فشكرا له ، ونرجو أن يوفقه الله إلى نشر الكتاب كاملا إن شاء الله .

الشيخ المراغى بأقلام الكتاب

للأستاذ أبى الوفا المراغى — ٢٩٥ ص — المطبعة المنيرية بالقاهرة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شخصية الشيخ المراغى (١٢٩٨ - ١٣٦٤) كما يقول شقيقه المؤلف : « شخصية تاريخية خصبة سينضجها الزمن حتى تبدو للناس يانعة ناضجة » . وقد رأى المؤلف - إلى أن تتاح الفرصة لإخراج صورة كاملة لتاريخ الشيخ المراغى - أن يجمع ما كتب عنه بمناسبة وفاته وذكرياته بما دبجته أقلام الكتاب ، فأصدره فى كتاب مستقل ليكون فى المستقبل مصدراً لمن يعالج كتابة تاريخه . قال : « وقد جمعت تلك المقالات أهم العناصر التى تكون ذلك التاريخ ، هذا إلى أنها معلومات صحيحة صادقة كتبها كتاب معاصرون له لم تعمل فيها يد الزمان بالعبث والتحريف . وإنه لعمل له خطره التاريخى لمن يعالج تراجم الرجال » .

وقد صدر الكتاب بصورة الشيخ ، وافتتحه بعد المقدمة بترجمته الرسمية ، يليها فصل بقلم المؤلف عن الشيخ المراغى والأزهر ، وبعده خطبة فذكرة للشيخ عن إصلاح الأزهر ، فما كتبه الكاتبون مما هو موضوع الكتاب ، وبآخره نماذج من دروس الشيخ وخطبه وأحاديثه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شعر حفنى ناصف

جمعه الأستاذ مجد الدين حفنى ناصف — ٢٦٤ص — دار المعارف بمصر

حفنى ناصف (١٢٧٢ — ١٣٣٧) كوكب لامع من الكواكب التى طلعت من أفق الازهر ، ، رجل عظيم من رجال دار العلوم ، ومفخرة من مفاخر العلم والفكر والنبوغ فى مصر . قال عنه ابنه الأستاذ مجد الدين : « ليس من اليسير أن أؤرخ لأبى ، ولا سيما إذا أردت أن أبين فى وقت معا أنه شاعر ، ناثر ، زجال ، ظريف ، بليغ ، نحوى ، مؤرخ ، عالم محقق ، قانونى ، مجاهد ، وطنى ، اجتماعى ، صحفى ، رياضى ، إنسانى ، شخصيته لم تعد مقصورة على ناحية بعينها كما هى الحال بالنسبة لكثير ممن خلدهم التاريخ » .

وشعر حفنى ناصف من نوابغ شعرنا العصرى ، ومن العجيب أن يتأخر تدوينه إلى اليوم ، فهو فى نفسه قطعة من تاريخ مصر ، ومن تاريخ الأدب فى مصر ، فضلا عن أنه قطعة من نفس هذا النابغة من نوابغ مصر ، ولا ريب أن ماعاشت به شاعرية حفنى ناصف فى حياته أضعاف ما أمكن جمعه ونشره فى هذا الديوان ، وأكثره من شعره الباكر ، ويقول ابنه الأستاذ مجد الدين : إن الذى ضاع من شعر والده فى ثورة سنة ١٩١٩ نتيجة لتفتيش السلطات المنزل تفتيشا مطردا قد تبدد معه أكثر مخلفات حفنى ناصف الأدبية والعلمية .

ولعل وزارة التربية والتعليم تعنى بتثقيف أبنائنا بهذا اللون من أدبنا الناضج فتيسر انتشاره فى مدارسنا . وعسى أن يعمل الأستاذ مجد الدين بإصدار « نثر حفنى ناصف » وبقية آثار والده العلمية .

ويحتمل أن يتعاون الأزهر ودار العلوم وكلية الآداب والقضاء على إحياء ذكرى حفنى ناصف ، فنقترح أن يختار ليوم هذه الذكرى التاريخ العربى الذى كان يحبه حفنى ناصف وكل من نشأ على العروبة والإسلام كنشأة حفنى ناصف . رحمه الله وأكرم ذكراه .

فى ظلال الاسلام

لثلاثة مؤلفين — ٣٢٠ ص — دار العهد الجديد للطباعة

هذا الكتاب مجموعة فصول ودراسات كتبها أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ محمود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمين النواوى المفتش بالأزهر ، والشيخ محمد عبد المنعم خفاجى ، والشيخ محمود فرج العقدة الاستاذان فى كلية اللغة العربية ، وكثير من فصوله ليس بغريب على قراء المجلة. وفى التصدير الذى كتبه المؤلفون لكتابهم دفاع عن علماء الأزهر وموقفهم من غزو الاستعمار الثقافى والفكرى للعالم الإسلامى ، وأن واجب العلماء يحتم عليهم أن يقولوا ، وليس عليهم أن يشرعوا وينفذوا . ثم وصفوا الكتاب بأنه صور ودراسات إسلامية تقصد إلى شرح الإسلام ومبادئه وأصوله شرحا واسعا ، ومعها تراجم لعدد من أعلام الإسلام ممن هم موضع القدوة الطيبة فى تاريخ الإسلام الدينى والسياسى والعقلى .

والمؤلفون الثلاثة من كتاب هذه المجلة ، وقد عرف قراؤنا أساليبهم ، ومناطق دراساتهم فلا نزيد القراء تعريفاً بفضلهم وتقديراً لما يكتبون .

فارس الاسلام سعد بن أبى وقاص

الأستاذ حسنين آدم حسنين - ١٣٥ ص - المطبعة السلفية بالقاهرة

كتاب لطيف يجلو حياة هذا الصحابى الفاتح الجليل ، منذ نشأته الأولى وكيف التحق بكتيبة الإسلام فى بداية تكوينها ، ومآله من المواقف فى تأييد هذه الدعوة والجهاد فى سبيلها فى مكة قبل الهجرة ، وفى مواقف الإسلام الكبرى بعدها ، وفى الفتوح العظمى فى ظل الخلافة العمرية .

إن حياة سعد بن أبى وقاص قطعة من حياة الإسلام نفسه فى صدره الأول ، وجهاد سعد بن أبى وقاص مثال كامل لمعجزة الإسلام فى جهاده الإنسانى لإعلاء كلمة الله والتنكيل بالطغاة والطغيان .

وقد كتب لهذه الرسالة مقدمتها رئيس تحرير هذه المجلة ، إعجابا منه بإخلاص مؤلفها وصدق إيمانه فنلفت إليها الأنظار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

المصاحف من الخارج
عرضها على مشيخة الازهر

أصدرت لجنة تعديل القانون الجمركى قراراً بتعديل فقرة من قانون الجمارك بأنه لا يجوز إدخال مصاحف القرآن الشريف من أية طبعة كانت إلا بعد العرض على إدارة المطبوعات لاستطلاع رأى مشيخة الازهر .

التربية والتعليم بمصر
قبل الثورة وبعدها

من أهم ما تضمنه خطاب الشعب الذى ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح مجلس الأمة الفقرات التالية عن التربية والتعليم فى مصر بعد الثورة مقارنة بما قبلها :

فى العام السابق للثورة بنيت فى مصر ٣ مدارس جديدة .. وفى سنوات الثورة الخمس بلغ مجموع ما بنى من المدارس ١٢٣٥ مدرسة .. أى بمعدل ٢٤٧ مدرسة كل عام .. أى بمعدل مدرستين كل ٣ أيام .

وفى السنوات الخمس السابقة على الثورة بلغ ما صرف على بناء المدارس ٢٥ مليون جنيه .. بالإضافة إلى مليونين ونصف مليون أنفقها على تجديد مدارس قديمة .

وفى أول سنة للثورة ، وصلت ميزانية التعليم إلى ٢٦ مليون جنيه .. ثم قفزت إلى ٣٦ مليون جنيه .. وفى هذا العام وصلت إلى ٤٥ مليون جنيه .

وكان عدد الطلبة العرب والشرقيين فى معاهدنا ١٦٧٦ وعددهم الآن ٨٥٣٤ .

وكان لنا فى البلاد العربية ٦٩٠ مدرساً ولنا الآن ١٦٧٦ مدرساً .

وكان عدد تلاميذ مدارسنا الابتدائية مليوناً وأربعمائة ألف ، فأصبح مليونين ومائتى ألف .

والمدارس الصناعية والفنية كان فيها ٢٢٠٠٠ طالب فأصبح فيها ٤٩٥٠٠ طالب .

وكانت الجامعات تضم ٤٢ ألف طالب فأصبحوا ٧٤ ألفاً .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والأزهر كان فيه ٢٢ ألف طالب ، فأصبحوا ٣١ ألفاً .

ولنا الآن أكثر من مائة عالم مصرى يتخصصون فى أبحاث الذرة فى أكبر مراكز البحث الذرى فى العالم .

الديانة الاسماعيلية

لمناسبة موت أغا خان إمام الطائفة الاسماعيلية النزارية فى الشهر الماضى ودفنه بوصية منه فى أسوان من صعيد مصر تساءل الناس عن حقيقة هذه النحلة ومنزلتها من الإسلام ، وكتب أحد أصحاب المجلات الأسبوعية يلح على الأزهر فى بيان ذلك . وقد قامت مجلة الأزهر بهذا الواجب للعلم والدين بما كتبته فى جزء جمادى الأولى ١٣٧٣ ص ٦١٢-٦٢١ بعنوان (من هم العبيديون) وبينت سر الاختلاف فى نسب المعز وبنيه الذين ينتسب أغا خان إلى واحد منهم وهو نزار بن المستنصر ، كما تنتسب اسماعيلية البهرة إلى أخيه المستعلى بن المستنصر . وفى ذلك المقال بيان دقيق لأصل المذهب والشخصيات التى مثلت دورها فى تكوينه وطريقته فى التبنى الروحى الذى انتقلت به سلسلة الاسماعيليين إلى عبيد الله المهدى (٢٦٠ - ٣٢٢) الذى دخل سلسلة الاسماعيليين بالتبنى الروحى أو مايسمونه ، الامامة المستودعة ، مع أنه من ذرية ميمون القداح . والمذهب الاسماعيلى مذهب باطنى ينافى الاسلام فى جميع الأسس التى هو قائم عليها ، وقد أفصح شاعرهم عن حقيقة مذهبهم الحلولى يوم قال عند حلول عبيد الله المهدى مدينة رقادة :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو البرايا وكل شىء سواه ريح

جامعة أسيوط

تفتتح كليتا الهندسة والعلوم بجامعة أسيوط فى أول العام الدراسى القادم ، وقد اختير لها مقر مؤقت فى مبنى المدرسة الثانوية التى تقرر نقلها إلى مكان آخر فى أسيوط

المدينة الجامعية

لطلبة جامعة عين شمس

تم بناء المدينة الجامعية لطلبة جامعة عين شمس ، ويفتتح جناحان منها فى أول أكتوبر القادم ، ويتسع الجناح الواحد لاستيعاب ٢٥٠ طالبا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

مجلس الأمة

عقد مجلس الأمة فى صباح ٢٢ يوليه أول اجتماع له ، فأقسم الأعضاء اليمين القانونية ، وانتخب السيد عبد اللطيف البغدادى رئيسا ، والسيد أنور السادات وكيلا أول ، والأستاذ محمد فؤاد جلال وكيلا ثانيا ، وفى المساء افتتح الرئيس جمال عبد الناصر أول دورة لمجلس الأمة ، وبعد أن حلف اليمين ألقى بيانه التاريخى الخطير الذى استغرق إلقاؤه ساعتين إلا عشر دقائق ، قدم فيه للشعب حساب الثورة عن سنوات حكمها الخمس ، وكان الأعضاء يقاطعون البيان بالتصفيق الحاد عشرات المرات ، وبعد انتهاء البيان هتف رئيس المجلس وأعضاؤه بحياة جمهورية مصر ، ثم غادر الرئيس جمال عبد الناصر القاعة والتصفيق يدوى من الأعضاء والزوار فى الشرفات ، وأعلن رئيس المجلس تأجيل الاجتماع إلى مساء ٥ أغسطس .

حياة مصر الاقتصادية

بعد الثورة

جاء فى خطاب الشعب الذى ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح مجلس الأمة أنه قد تم فى سنوات الثورة توزيع ٨٠٠ ألف فدان طبقا لقانون الإصلاح الزراعى ، ورصدت ٢٠٠ مليون جنيه لمشروعات الإنتاج ، و ١١٢ مليونا للتعمير ، وقد حقق الميزان التجارى ـ لأول مرة ـ فائضا قدره ٦,٥٠٠,٠٠٠ جنيه .

الأسطول المصرى

تعزز الأسطول المصرى بقطع جديدة اشترتها مصر من بلاد الاتحاد السوفيتى وفى طليعتها ثلاث غواصات من أحدث طراز ، وست قطع من واضعات الألغام ، وخمسة عشر زورقا من زوارق الطوربيد . وقد تدرب رجال السلاح البحرى المصرى على استعمال هذه القطع أكمل تدرب .

مشروع إيزنهاور للشرق الاوسط

اعترف جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا فى حديث أذاعه على التلفزيون البريطانى بأن مشروع إيزنهاور للشرق الأوسط لم يوضع كنتيجة للحملة الثلاثية على مصر ، ولكنه وضع كنتيجة لصفقات السلاح التى صدرها الاتحاد السوفيتى إلى المنطقة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاتحاد المصرى السورى

قال الرئيس جمال عبد الناصر لأعضاء الوفد البرلمانى السورى فى مهرجان عيد الثورة : « إنكم تستطيعون أن تعلنوا عن لسانى رسميا أن الحكومة المصرية مستعدة للدخول مع الجانب السورى فى مباحثات لتحقيق الاتحاد المصرى السورى فورا »

والتفت الرئيس إلى الوزراء المصريين الذين حضروا الاجتماع وقال لهم : إنكم مستعدون على ما أعتقد لبدء المباحثات مع رجال سوريا لوضع تفاصيل الاتحاد تدريجيا . فأمن الوزراء على قول الرئيس .

تونس جمهورية

فى صباح يوم الخميس ٢٧ من ذى الحجة (٢٥ يوليه) انعقدت الجمعية التأسيسية التونسية لبحث نظام الحكم الصالح لتونس ، وقررت إلغاء النظام الذى كان يقوم على رأسه أمير أو ملك يسمى (الباى) والعمل بالنظام الجمهورى على الطريقة الأمريكية التى يتولى فيها رئيس الجمهورية رئاسة الوزارة ، واختير السيد الحبيب بورقيبة الرئيس الأول لهذه الجمهورية العربية الحديثة ، وتولى فى الوقت نفسه رئاسة الوزارة فى الحكم الجديد .

الانجليز بين مسقط وعمان

كان سلطان مسقط ـ الذى يحكم تحت الحماية البريطانية ـ قد اعترف لإمامة عمان بالاستقلال ، وذلك فى معاهدة (السيب) التى وقعت سنة ١٩٢٠ على يد الإنجليز ، ولما تبين للانجليز فى السنوات الأخيرة مظنة وجود بترول فى أراضى إمامة عمان دفعوا ربيبهم سلطان مسقط إلى نقض معاهدة السيب ومحاولة التدخل فى شئون إمامة عمان . ولما كان سلطان مسقط أضعف من أن يقوم ببغى مستقل على إمامة عمان تعاونت بريطانيا معه على هذا البغى واشتركت قواتها العسكرية والجوية فى العدوان على بلاد إمامة عمان . واعترف سر وليم لندسای ممثل شركة مسقط الدولية للبترول بأن هذه الشركة تدفع إعانة لجيش مسقط ليقوم بهذه الحرب الباغية على بنى جنسه ودينه فى سبيل البترول .

فلسطين

بين الاستعمار وأعوان الاستعمار

تناول الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب الإسكندرية يوم ٢٦ يوليه قصة حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فقال : إن الاستعمار يهدف إلى تصفية قضية فلسطين من أجل مصلحة إسرائيل ، ويعتمد فى هذا على أعوان الاستعمار فى الدول العربية ، وعلى الخونة العرب الذين اعتمد عليهم سنة ١٩٤٨ ، كلنا نعرف ماذا وقع فى اللد والرملة ، وكيف تركت لاسرائيل وفتح أمامها الطريق لتهاجم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مصر، ويواجه الجيش المصرى وحده قوات إسرائيل . كلنا نعرف كيف حوصرت قوات من الجيش المصرى فى الفالوجة ، وكيف اجتمع القادة العرب وقرروا إنقاذ هذه القوات ، ولكن الجيش السورى كان هو الجيش الوحيد الذى وصل إلى الخليل ، والجيش السعودى كان مشتركا مع الجيش المصرى فى الجبهة المصرية ، فالجيش السورى توجه وحده إلى الجبهة لينفذ الخطة ، أما الباقى فلم تصلهم أوامر ، لأن الأوامر لم تجئ من انجلترا ، ولأن انجلترا كانت هى صاحبة السلطة العليا فى البلاد التى لم تتلق جيوشها أوامر بتنفيذ ماقرره قادة العرب فى اجتماعهم ، هذا هو الفرق بين الاستقلال والاستعباد ، هذا هو الفرق بين البلد الذى يستمد سياسته من داخله والبلد الذى تأتيه سياسته من الخارج .

تعداد سكان مصر

تبين من عملية الحصر التمهيدية التى أجرتها مصلحة التعداد والإحصاء أن عدد سكان الجمهورية المصرية ٢٢٫٨٤٠٫٠٠٠ نسمة تضمها ٤٫٦٥١٫٠٠٠ أسرة ، تسكن فى ٤٫١٥٦٫٠٠٠ مبنى ، و ٥٫٢٣٩٫٠٠٠ مسكن وفى القاهرة من ذلك ١٩٥ ألف مبنى و ٧٠٠ ألف مسكن تقطنها ٦٢٨ ألف أسرة عدد أفرادها مليونان و ٨٩١ ألف نسمة .

تقدم مصر الصناعى

جاء فى خطاب الشعب الذى ألقاه الرئيس فى افتتاح مجلس الأمة :

ينتهى فى هذا العام بناء مصنع الحديد والصلب وإنتاجه مائتا ألف طن .

وتم توسيع معمل تكرير البترول فى السويس وزاد انتاجه من أربعمائة ألف طن إلى مليون وثلاثمائة الف طن .

وتم أيضا إنشاء معمل فى مسطرد .

وتم كذلك إنشاء معمل فى الاسكندرية تصل طاقته إلى سبعمائة ألف طن .

وتم مد خط أنابيب بترول بين السويس والقاهرة طوله ١٣٠ كيلو مترا ، وكفايته ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ طن .

وأوشك العمل فى كهربة خزان أسوان على الانتهاء ، وتقدر تكاليفه بـ ٢٧٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه ، وسيعطى قوة كهربائية قدرها ١٨٨٠ مليون كيلووات ساعة تستخدم فى الأغراض الصناعية بينها الكهرباء اللازمة لمصنع السماد الكبير الذى يجرى إنشاؤه الان ويتكلف ٢٢ مليون جنيه ليكون انتاجه ٣٧٠ ألف طن من سماد نترات النوشادر الجيرى تبلغ قيمتها كل عام أكثر من ٨ ملايين جنيه .

وتم وضع مشروع التوسع الصناعى على خمس سنوات وسيترتب على تنفيذه زيادة فى الدخل القومى مقدارها ١٣٠ مليون جنيه وبذلك يصبح نصيب الصناعة ٢٢ ٪ من الدخل القومى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهـرس

صفحة	الموضـــــوع	بقـــلم
١	من عام ـ إلى عام	أبـة
٢	من الاسلام إلى الايمان	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٤	نفحات القرآن : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	« عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
١٨	السنة : مكان النصح فى الاسلام — ١ —	« طه محمد الساكت . . . . .
٢٢	خوارق العادات التى اقترنت بالهجرة الشريفة	« محمد الطنيخي عضو جماعة كبار العلماء
٢٧	من تاريخ الكفاح فى الجزائر : الأمير عبدالقادر	« على العماري . . . . .
٣١	رسالة الصحافة	« أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر . .
٣٥	حديث عيد الاضحى المبارك	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٣٩	الهجرة والتضحية والفداء	الأستاذ محمد محمداً بوشهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٤٢	من نوادر المخطوطات : إعلام الساجد بأحكام المساجد	« أبو الوفا المراغي . . . . .
٤٥	نظرة فقهية : فى قانون معاشات الموظفين . .	« محمد عبد السلام القباني . . . . .
٤٨	دعوة الاسلام ومنهجها فى الاصلاح	« يس سويلم طه . . . . .
٥٥	حصوننا مهددة من داخلها — ١ — . . .	الدكتور محمد محمد حسين . . . . .
٦٦	من تاريخ المسلمين فى الهند : ثورة الهند الدامية على الانجليز	الأستاذ عبد المنعم النمر . . . . .
٧١	أعلم الصحابة بالحلال والحرام	« محمود النواوي . . . . .
٧٦	عندما أخرجنا من الاندلس	« أنور الجندي . . . . .
٨٠	بشائر العام الهجرى الجديد	« عباس طه . . . . .
٨٤	تحية العام الهجرى الجديد « قصيدة » . . .	« محمود طيرة . . . . .
٨٦	الكتب	المجلة
٩١	الأدب والعلوم	«
٩٣	العالم الاسلامي	«